زيتون

العدد: 180

www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com

محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الخامسة | 1 تموز 2018

تخلي أمريكي عن درعا.. وإدلب تترقب

ما هي حقيقة العفو العام.. ومن هي الجمعية السورية لتحرير المعتقلين؟

ربيع زيتون

تناقلت الكثير من مواقع التواصل الاجتماعي مؤخراً، أنباءً عن قرب صدور مرسوم جمهوري "عفو عام" من رأس النظام بشار الأسد بمناسبة عيد الفطر، وذلك نقلاً عن "مصادر مطلعة" كما سمّتها.

وتداولت صفحات موالية للنظام أنباء أفادت عن عفو شامل عن المعتقلين ينوي إصداره النظام تحت ضغط من الجانب الروسي، في الوقت الذي تجاهلت فيه وسائل الإعلام الرسمية التابعة لنظام الأسد الخبر دون نفي أو تأكيد للخبر في بداية الأمر، ما أعطى السوريين بشكل عام وأهالي المعتقلين بشكل خاص شيئاً من الأمل، لا سيما بعد انتشار الخبر بشكل كبير ومتسارع، وانتشار تسجيلات صوتية نُسبت لمسؤولين في حكومة النظام تفيد بإطلاق سراح كافة المعتقلين في سجونه في وقت قريب جداً، فضلاً عن عدة أمور لاحقة أعطت للموضوع طابع الجدية.

بالرغم من الثقة المطلقة لدى السوريين على مدى أعوام الثورة السبعة بعدم قيام النظام بأي خطوة إيجابية، غير أن وقوف روسيا خلف النظام وتنفيذه لأوامرها بإزالة الحواجز من قلب العاصمة دمشق، وإيهامها للعالم بنيتها ونية النظام بإعادة الحياة في سوريا لطبيعتها، ولما كانت عليه قبل الثورة، ساهم إلى حد كبير في تبنّي الإشاعة، واعتبار الإفراج عن المعتقلين خطوة في هذا المسار.

غالبية الوسائل التي بادرت بنشر خبر "العفو العام" كانت مقربة من نظام الأسد حتى أنها ذكرت فقرات مفصلة عن المرسوم، فعلى سبيل المثال ذكرت قناة العالم الإيرانية على موقعها: "قريباً.. عفو عام في سوريا هو الأشمل منذ سنوات"، وقالت: "المرسوم سوف يضمن عودة الكثير من السوريين في الخارج وخصوصاً فئة الشباب، ويشمل العفو موضوع الخدمة الإلزامية والاحتياطية، وتبييض السجون من معتقلي الرأي وحملة السلاح الذين لم يتورطوا بعمليات قتل، ويضمن وقف الملاحقات الأمنية".

وعلى مبدأ "الغريق يتعلق بقشة"، علّق بعض السوريون آمالهم، وزرعت الضجة الإعلامية التي حدثت حول الخبر، الأمل عند البعض من أهالي المعتقلين والملاحقين أمنياً، رغم عدم صدور المرسوم أو الحديث عنه من قبل جهة رسمية، ولكن سرعان ما تلاشت الآمال بعد أن تم نفي الخبر لاحقاً من عدة وسائل إعلامية رسمية وشبه رسمية مثل دمشق الآن وغيرها.

قاعدة حميميم التي يعتبرها المؤيدون لنظام الأسد أصدق من وسائل إعلامه، لم تكتفي بنفي الخبر بل أكدت ضمنياً رفض الأمر، ورداً منها على سؤال عن صحة صدور مرسوم العفو قالت: "لا توجد معلومات حول عفو عام في البلاد، كما أننا نعتقد أن خطوة مماثلة قد تتسبب بالمزيد من الفوضى في سوريا، لذلك يتوجب علينا جميعاً العمل على الحد من تواجد الأفراد المتورطين بأعمال تخريبية".

رئيس حركة نداء سوريا "سامي الخليل" قال لزيتون: "لا أعتقد أن النظام مستعد لإطلاق سراح معتقل دون مقابل، كذلك الروس والمجتمع الدولي بوضع مخجل، ولا أعتقد أن هذه الأنباء دقيقة، القوة بحاجة إلى قوة مناوئة لها ومكافئة، ولا نملك تلك القوة لنفاوض حالياً على آلاف المعتقلين لدى النظام.

من هي الجمعية السورية لتحرير المعتقلين؟

في ٢٢ حزيران الجاري، أُعلن عن تشكيل الجمعية السورية لتحرير المعتقلين، وذلك عبر بيان انتشر على مواقع التواصل الاجتماعي، جاء فيه: "نصرة للمعتقلين وبهدف تحرير الأسرى من سجون النظام، نعلن عن تشكيل الجمعية السورية لتحرير المعتقلين في الداخل السوري، وهي جمعية سورية ثورية تختص بشؤون المعتقلين في سجون النظام السوري، وتعمل على تحريرهم بشتى الوسائل المتاحة".

وأضافت الجمعية في بيانها: "نبشر أهالي المعتقلين والمعتقلين أنفسهم أننا وبمساعدة بعض الوسطاء سنعمل على فك أسر كل المعتقلين بطريقة التفاوض المباشر وغير المباشرة خلال فترة وجيزة إن شاء الله".

ووقع البيان كلاً من مدير الجمعية "محمد بهاء العلوش" ونائب مدير الجمعية ومدير العلاقات "عبد الرحمن قنطار".

وقال "محمد بهاء علوش" مدير الجمعية السورية لتحرير المعتقلين: "الذي دفعنا لإعلان هذا التشكيل بهذا التوقيت هو تواصل الروس مع وسطاء وإلحاحهم على عملية تبادل الأسرى الكل مقابل الكل، والتأكيد على وجود ضمانات من قبل الفصائل العسكرية لتنفيذه"، مبيناً أن معظم الفصائل أبدت تعاونها معهم، باستثناء هيئة تحرير الشام التي ما يزال التواصل معها حول الموضوع جارياً، نافياً أي علاقة للجمعية بمخرجات مؤتمر أستانة، بحسب "الأورينت نت".

وأوضح نائب مدير الجمعية ومدير العلاقات "عبد الرحمن قنطار" أن الجمعية عبارة عن مندوبين مكلفين من كافة فصائل المناطق المحررة، وأن باب الانتساب إلى عضوية الجمعية مفتوح أمام جميع الفصائل ولكن بشكل فردي باسم كل شخص وليس باسم فصيل، مؤكداً أن الجمعية تعمل بشكل جدي وليس لها غطاء سياسي، وأن التفاوض مع الروس يشمل كافة المعتقلين لدى النظام مقابل كافة المعتقلين لدى المعارضة مع أولية لتحرير أسرى الفصائل، وفقاً لما نقلته "حرية برس".

ودعت الجمعية السورية لتحرير المعتقلين في بيان صدر عنها في ٢٣ حزيران الجاري، إلى تقديم بيانات المعتقلين بأسرع وقت وذلك من أجل العمل على إخراجهم في مفاوضات تجريها مع الطرف الروسي.

وطالب البيان كلاً من الفصائل والمجالس المحلية وأهالي المعتقلين التواصل لتسجيل أبنائهم المعتقلين في سجون النظام، وذلك لتأكيد بياناتهم بالكامل وبأسرع وقت ممكن من أجل العمل على إطلاق سراحهم، مؤكداً على جدية المفاوضات الجارية مع الطرف الروسي.

وحدد البيان المعلومات المطلوبة بالاسم الثلاثي، واسم الأم ومكان وتاريخ الولادة، إضافة إلى الخانة والمحافظة والبلدة ومكان وتاريخ الاعتقال، وآخر معلومة عن مكان تواجده في الأسر إذا وجدت.

كما طالب البيان المنظمات بإرسال الملفات الجاهزة المتوافرة لديهم عن أسماء المعتقلين، مرفقاً في نهاية البيان أرقام الواتس آب للتواصل مع الجمعية والإيميل المعتمد لها.

ونقل "راديو الكل" عن "قنطار" الاثنين الماضي، قوله إن نحو ١٢ ألف معتقل في سجون النظام تم تسجيل أسمائهم لدى الجمعية خلال ٤٨ ساعة، وأن عملية التبادل ستتم بين الجانب الروسي والثوار من دون تدخل النظام في العملية، وأنه من المقرر عقد اجتماع بين مندوبين من الطرفين في اليوم ذاته.

في حين أوضحت وكالة "سمارت نيوز" إن مدير الجمعية السورية لتحرير المعتقلين هو قائد لواء في كتيبة "أبو عمير" التابعة لـ "حركة أحرار الشام الإسلامية"، وقد ساهم بعمليات تبادل أسرى سابقة بين "أحرار الشام" والنظام، وينحدر علوش من قرية إبلين بريف إدلب، بينما ينحدر نائبه ومدير العلاقات في الجمعية وهو معتقل سابق لدى النظام من قرية عين لاروز بريف إدلب، وكان قائداً للواء السابع التابع للجيش السوري الحر.

من جانبها قالت "صوت المعتقلين" على صفحتها في فيس بوك: "الإعلان الذي تم تداوله ونشره بشكل كثيف عبر وسائل التواصل الاجتماعي حول تشكيل جمعية تحت اسم "الجمعية السورية لتحرير المعتقلين"، تطلق الجمعية وعوداً كبيرة تعد فيها بالعمل على التنسيق بين الفصائل والجانب الروسي لتحرير المعتقلين، دون وجود أي ضمانات، وبغياب تام للآليات، الأمر الذي يذكرنا بجمعيات وهيئات ومنظمات أخرى سمعنا بها خلال السنوات السابقة، وقامت بجهد كبير في إنشاء حساب بريد إلكتروني وعدة حسابات واتساب، وجمعت أسماء المعتقلين ثم اختفت، واختفى القائمون عليها".

مناشدات إنسانية لـ 250 ألف مهجر من حماة في إدلب

انتقد ناشطون من ريف حماة الشرقي الثلاثاء، الماضي كافة الجهات المعنية، من منظمات وقيادات مجالس العشائر، بالإضافة إلى حكومة الإنقاذ التي نصبت نفسها سلطة على الأرض، وذلك لتجاهل هذه الجهات لأوضاع نازحي ريف حماة الشرقي وأحوال مخيماتهم، وعدم التفاتها لأدنى احتياجات هذه الفئة من الوافدين لإدلب، وجاء ذلك ضمن مناشدة إنسانية من قبل الناشطين، صوروا فيها الواقع المعيشي المتردي لتجمع مخيمات ريف حماة الشرقي، مطالبين الجهات المعنية بالتحرك اللازم لمساندتهم.

وعد البلخي

وجاء في المناشدة:
«تجمع مخيمات ريف حماة الشرقي والواقع غرب أطمة في إدلب، والذي لجأ له أهالي الريف الحموي الشرقي بعد تهجيرهم قسراً من بلادهم، تم استئجار الأراضي فيها من قبل الأهالي، كل دونم بـ ٢٠٠ دولار أمريكي سنوياً.

وقال الناشطون في مناشدتهم إن عمر تجمع مخيمات ريف حماة الشرقي ٨ أشهر فقط، وتفتقر هذه المخيمات لأدنى مقومات الحياة، فمعظم الخيم غير صالحة للسكن، ومنذ قدوم الأهالي إلى المنطقة لم يتم تخديمهم بأي شيء، سوى صدقة الفطر في رمضان، وهي عبارة عن سلة غذائية، لا تتجاوز ١٢ كيلوغراماً لمرة واحدة.

واستنكر الناشطون تجاهل المنظمات الإنسانية لأبناء ريف حماة الشرقي، وتمييزهم وعدم معاملتهم كإخوانهم الخارجين من الغوطة وحمص، متسائلين عن أسباب هذا التجاهل، وفيما إذا كان العمل الإنساني قد أصبح درجات، والمنظمات الإنسانية تعتبر نازحي ريف حماة الشرقي درجة عاشرة.

كما تساءلوا عن مكان حكومة الإنقاذ وإدارتها التي نصبت نفسها السلطة الوحيدة على الأرض، وعن هؤلاء الذين يتصدرون الاجتماعات من وجهاء وما تتبع لهم من مجالس الشورى وغيرها، وأضافوا: «أليس أول اهتمامهم هو أبناء عشائرهم، أم فقط ظهورهم من أجل التصوير والمناصب الفارغة ليكونوا فقط واجهات لحكومات وتشكيلات عسكرية».

وحددت المناشدة متطلبات واحتياجات تجمع مخيمات ريف حماة الشرقي بـ «تخديم التجمع بدورات مياه وصرف صحي، ورش المبيدات لانتشار الحشرات بشكل كثيف، وبناء مدرسة تخدم المخيم فهناك أكثر من ١٠٠٠ طفل يفتقرون للتعليم في هذه المخيمات، وبناء مسجد، وتخديم التجمع طبيا ولو بعيادة متنقلة بشكل دوري، بالإضافة إلى تعبيد الطرقات وفرش الأراضي، وعزل الخيم التي لا تصلح للسكن كونها لا ترد حر الصيف ولا مطر الشتاء، فضلاً عن تقديم المساعدات الإنسانية عامة، والغذائية خاصة، كون هذه الأسر بمعظمها تحت خط الفقر ولا تمتلك أي مدخول مادي».

وينحدر سكان هذه المخيمات الذين يتجاوز عددهم الـ ٢٥٠ ألف من أصول عشائرية، كانت تقطن ريف حماة الشرقي، قبل أن يتم تهجيرهم بشكل مفاجئ، أثناء معارك «شرق سكة القطار»، والتي تبين فيما بعد أنها جزء من اتفاقيات أستانة، وأن الدول الضامنة اتفقت على أن تكون سكة القطار الحد الفاصل بين ميليشيات النظام وقوات المعارضة.

وتسببت المعارك آنذاك بنزوح أكثر من ٤٠٠ قرية من الريفين الشرقيين لحماة وإدلب، توجه جلهم لمحافظة إدلب، وأنشأوا فيها مخيمات عشوائية، ساعدهم في ذلك طبيعتهم البدوية، إلا أنها لم تعد تغني الآن عنهم شيئاً.
وكان مدير فريق منسقي الاستجابة محمد الشامي، قد قال «تفاقمت معاناة الوافدين إلى محافظة إدلب مع ازدياد أعداد المهجرين وانحسار أعمال المنظمات في المحافظة ونقل بعض مكاتبها إلى مناطق أكثر أمناً كعفرين والريف الشمالي لمحافظة حلب، وباتت العائلات المهجرة في حاجة لأبسط سبل العيش كتأمين برنامج غذائي شهري وتقديم ما يكفي كل عائلة من السلل الإغاثية»، وفقاً لما نقلته بلدي نيوز.

ووفقاً لآخر إحصائية صادرة عن فريق «منسقو الاستجابة» التابع لمكتب التوثيق والدعم، بلغ عدد العائلات الوافدة إلى محافظة إدلب ١٢٣١٧ عائلة مهجرة قسرياً، جراء اتفاقيات التهجير الأخيرة بين نظام الأسد وفصائل المعارضة، و١١٨٠ عائلة مهجرة من منطقة شرقي سكة الحجاز بريفي إدلب وحماة، و٦٦٠ عائلة مهجرة من مدينة حماة.

من قلب الثورة إلى حضن النظام وروسيا.. فراس الخطيب

انضم قائد المنتخب السوري لكرة القدم فراس الخطيب لفريق تغطية كأس العالم في قناة RT Arabic الروسية، خلال نهائيات كأس العالم التي تستضيفها روسيا حالياً، ليتجاوز بذلك العودة إلى حضن النظام، وينضم إلى ركب المنضمين إلى حضن روسيا، في بطولة أطلق عليها المعارضون السوريون اسم "مونديال الدم".

وقال الخطيب عبر حسابه في تويتر في ٨ أيار الماضي، أنه سيكون موجوداً في تحليل كأس العالم ٢٠١٨ في روسيا، من خلال فريق قناة RT Arabic.

وبدأ الخطيب وهو من مواليد حمص ١٩٨٣، تمثيل المنتخب السوري منذ العام ٢٠٠١، واستمرت مشاركته حتى مطلع العام ٢٠١١، حيث كانت آخر مشاركة له مع المنتخب في بطولة كأس الأمم الآسيوية في قطر.

لم يتأخر الخطيب عن اللحاق بركب الثورة السورية مناصراً لها من مكان إقامته خارج البلاد، لا سيما أنه ابن مدينة حمص، التي طالها بطش النظام، بعدما صرخ أهالي المدينة وريفها مطالبين برحيل الأسد.

كأي مواطن سوري معارض للنظام، شارك الخطيب في فعاليات مختلفة، ارتدى خلالها علم الثورة، وتوشح به، وبدأ بنشر تغريدات تهاجم النظام، وتصفه بـ "المجرم".

وفي تغريدة له في السادس من تموز ٢٠١٢، قال الخطيب بوضوح: "لن ألعب لمنتخب سوريا طالما هناك قصف للبلدات والمدن السورية، خصوصا مدينتي حمص".

وأضاف في تغريدة أخرى في تشرين ثاني ٢٠١٢، أنه معتزل للعب مع المنتخب، حتى يتوقف نزيف الدم وقصف الشعب السوري.

كما وصف الخطيب حال حمص بتغريدة جاء فيها: "السماء تذرف دمعاً عليك يا حمص، والأرض تمتزج بدماء الشهداء، ترابك يأبى إلا البقاء، أبناؤك يصرخون بكل كبرياء، حمص آمنة بدمائنا، لن تتعرض للفناء".

بينما حاول فراس الخطيب إحراج قناتي الدنيا والإخبارية السورية، الممثلتين للنظام، بقوله: "لماذا لا تتصلون مع أشخاص معارضين لنسمع وجهة نظرهم، على غرار الجزيرة والعربية عندما تستقبل أعضاء مجلس الشعب وغيرهم".

كما قارن الخطيب في إحدى تغريداته حال الثوار رغم الحصار والقصف بحال الشبيحة الموالين للنظام: "السبع سبع وإن كلّت أنامله، والكلبُ كلبٌ وإن طوقته بالذهب، هذا حال الرجال في سوريا، رغم كل ما يعانونه يبقوا سباعاً".

حماس فراس الخطيب بعد أشهر من اندلاع الثورة السورية، دفعه لتبشير الداعية الكويتي نبيل العوضي، بأن نهاية بشار الأسد ستكون على أيدي ثوار حمص، حيث قال: "نحن أهل حمص منصورون بإذن الله، ولا تخاف، والله المعنويات مرتفعة، ونهايته على أيدينا نحن أحفاد خالد".

لكن وبعد مرور نحو خمس سنوات على تغريداته النارية، فاجأ فراس الخطيب السوريين، مؤيدين ومعارضين، بعودته الرسمية للمنتخب السوري، بل ودخول سوريا في آب الماضي، بعد وساطات قادها لاعبون ومسؤولون موالون للنظام، ليجلس في مطار دمشق الدولي تحت صورة بشار الأسد، في مشهد وصفه الكثيرون بـ "الإهانة لمن قبل بالعودة لحضن النظام".

وكتبت صفحة دمشق الآن الموالية للنظام: "بعد ٦ سنوات من غيابه عن أرض الوطن، قائد منتخب سورية الكابتن المخضرم فراس الخطيب يصل إلى دمشق للاندماج بمعسكر منتخبنا الوطني للتحضير للقائي قطر وإيران الحاسمين ضمن تصفيات كأس العالم روسيا ٢٠١٨".

عاد الخطيب، وتبعه عمر السومة، وصرح اللاعبان بتأييدهما للنظام عبر شاشة التلفزيون السوري، قبل أن يتم تكريمهما مع بقية اللاعبين، وتوقيع الأسد على صدرهما، في مشهد أثار ضجة واسعة في مواقع التواصل.

في حين اعتبر نجم نادي "الكرامة" الحمصي السابق أن عودته إلى المنتخب واجباً وشرفاً ولا علاقة لها بالسياسة، بينما رأى معارضون أن نظام الأسد يستخدم الرياضة بشكل عام، ومنتخب كرة القدم خصوصاً لتلميع صورته، بعد إقدام جيشه والميليشيات الطائفية التي استقدمها على قتل مئات آلاف السوريين وتشريد أكثر من نصفهم خارج البلاد وداخلها، فضلاً عن تدمير معظم المدن الثائرة في كارثة إنسانية صنفتها الأمم المتحدة بأنها الأسوأ منذ الحرب العالمية الثانية.

واليوم يتم التعريف عن الخطيب كقائد للمنتخب السوري وكمحلل رياضي وإعلامي مقدم لبرامج رياضية على قنوات RT الروسية، منافساً لأبطال عالميين كـ "بيتر شمايكل" و "مورينيو" وغيرهما، ما يعتبره مؤيدو النظام نصراً بحدّ ذاته، ويركز الخطيب في أسئلته لضيوفه حول دور السياسة وتأثيرها في الرياضة، فضلاً عن أداء المنتخبات العربية في المونديال، السؤال الذي كثيراً ما كانت الإجابة عليه بتهكم وسخرية كما هو الحال في رد "إبراهيموفيتش" حول أي من الفرق العربية المرجح تأهلها لدور ١٦قائلاً: "المنتخبات العربية لو وقعت كلها في مجموعة واحدة فلن يتأهل أحد منها".

فراس الخطيب الذي آثر تقبيل يد قاتل أهله ومدمر مدينته ينتقل من بطل وطني إلى أحد أزلام النظام، ليسوق صورة القاتل من جديد، متناسياً بلداً لن تفيده أمجاد كرة القدم لسنين طويلة قادمة.

منزل في الذاكرة

في منتصف قرية صغيرة، وعلى مفترق طرق رئيسية تصل طرفي القرية وتمتد إلى الأوتوستراد الدولي "دمشق- درعا" غرباً، والأوتوستراد القديم شرقاً، وطرق فرعية تصل إلى مزارع أهالي القرية، يتوضع منزل في وسط تلك القرية الصغيرة، لا يمكن لمارٍّ في القرية من أهلها أو من الغرباء إلا أن يعرج عليه ولو لدقائق للاستدلال والسؤال والاستراحة.

بوابته الحمراء الكبيرة مفتوحة على مصراعيها ليلاً نهاراً، وكأنها تقول للمارة أهلا وسهلاً بكم في منزلكم، يتبعها نحو مترين من الإسفلت طولاً وعرضاً، يتصلان بمصطبة (صيباطة) تحيط بالمنزل كما السوار، في واجهتها الشمالية المطلة على الشارع الرئيسي مدخل المضافة العربية من اليمين، ومدخل غرفة الضيوف من اليسار، وبين الغرفتين باب أسود عريض تعلوه شرفة، وهو مدخل الصالة الرئيسية للمنزل، والتي تزيد مساحتها عن ٣٢ متراً مربعاً، وتتربع في آخرها حصيرة بلاستيكية بسيطة وفُرش، وتتوزع أبواب الغرف على أطراف تلك الصالة.

أعوام طويلة مرت على هذه الدار وهي فاتحة أبوابها للقاصي والداني، للسهرات للحفلات للنقاشات والجلسات، تستقبل ضيوفها من كافة أنحاء سوريا، بدءاً من سواحلها وانتهاءاً بأهالي القرية والقرى المجاورة، دون أن تفرغ من أحد أفراد العائلة، التي حرصت دائماً على أن يبقى في المنزل من يستقبل ضيوفه من النساء والرجال، وحتى أطفال القرية كان لهم فيه محطة صباحية وهم في طريقهم إلى المدرسة القريبة من هذا المنزل، ومحطة أخرى في عودتهم من مدرستهم مع أبناء وأحفاد صاحب المنزل.

سيارة أجرة، حافلة نقل عام على خط دمشق، محراث مع سكك الحراثة الست والقاطرة، وسيارة (إيسوزو) لنقل خضروات المزرعة ومحاصيلها إلى سوق الهال والأسواق الأخرى، دراجة نارية ودراجات هوائية، كل ما يحتاجه الضيف أو الداخل إلى هذه القرية من وسائل نقل تجدها في باحة ذلك المنزل حسب توفرها ووقت عملها، فضلاً عن حظيرة للحيوانات لا ينقصها الأبقار ولا الأحصنة ولا الحمير ولا الدجاج والبط والأرانب وديوك الحبش التي تتجول في محيط المنزل.

كما لم ينسى أصحاب ذلك المنزل، أزهار الزنبق والقرنفل وفم السمكة والريحان أمام مدخله، ولا أشجار الفاكهة من تفاح ومشمش ودراق وإجاص على يمينه ومن خلفه، وما يضمه ذلك السور الحجريّ الأسود الذي يدعى (الحبّالة)، ذو البوابة الحمراء الكبيرة في منتصفه.أعوام طويلة مرت بعد احتراقه وهجره، وإغلاقه بعد أن كان لا يعرف الإغلاق ولا الانغلاق، وابتعاد ساكنيه في أرجاء المعمورة، وما تزال كل مساء تعود أرواح أصحابه لتحوف ذلك البيت، تتفقد زواياه ومجالسه.

الملتقى الوطني الثوري السوري وجهود التنسيق

حماية أهداف ثورة الحرية والكرامة والتصدي لمؤتمر سوتشي، كان الشعار الذي اتخذه الملتقى الوطني الثوري السوري الذي انعقد لأول مرة في 20 كانون الثاني من العام الحالي 2018، بالتزامن مع انعقاد مؤتمر سوتشي.

وجاءت الدعوة للملتقى من قبل اللجنة التحضيرية التي دعت في 4 كانون الثاني الماضي، لملتقى شعبي وطني ثوري سوري يضم لأول مرة الثوار والمعارضين السوريين في جميع أنحاء العالم، ليقولوا كلمتهم في وجه الصمت الدولي على العهر والإجرام الروسي والإيراني والأسدي، وذلك في 20 كانون الثاني، الساعة الرابعة بتوقيت دمشق أو الساعة الثانية بتوقيت أوروبا، تحت عنوان حماية ثوابت الثورة والتصدي لمؤتمر سوتشي، متزامنا بأن واحد مع مؤتمر سوتشي، وبتمويل ذاتي، بحسب نص الدعوة، متأملةً من الناشطين السياسيين والمعارضين المشاركة ودعم أنشطة الملتقى.

بشار الخالد

وأكدت اللجنة التحضيرية للملتقى في بيانها الأول أن الهدف الحقيقي لمؤتمر سوتشي هو إعادة تأهيل نظام الأسد، وإجراء إصلاحات دستورية ورقية، في ظل نظام لم يلتزم بالدستور طيلة عهده.

كما تهدف من خلاله إلى فرض انتخابات تتيح لبشار الأسد ترشيح نفسه لفترة رئاسية جديدة، في وقت يجب أن يقدم فيه إلى محكمة الجنايات الدولية، فضلاً عن نقل الملف السوري من الرعاية الأممية في جنيف إلى رعاية روسيا وإيران، والالتفاف على قرارات الأمم المتحدة والقرار ٢٢٥٤ الذي يقضي بالانتقال السياسي بقيادة هيئة حكم انتقالية كاملة الصلاحيات التنفيذية.

وفي ١٩ كانون الثاني الماضي، دعا كلاً من هيئة الحراك الثوري واتحاد تنسيقيات السوريين حول العالم ومجموعة من الهيئات السياسية وممثلي المجتمع المدني إلى "الملتقى الوطني الثوري السوري لحماية أهداف الثورة والتصدي لمؤتمر سوتشي"، محددةً مكان وزمان الملتقى في مدينة الريحانية على الشريط الحدودي، وفي عدة مدن بمحافظة إدلب بتاريخ ١٩ كانون الثاني، على أن يعقد الملتقى اجتماعاته في اليوم التالي في ٣٢ مدينة دولية.

تعريف الملتقى وأهدافه

يعرف أعضاء الملتقى عنه بأنه ليس جسماً سياسياً، وإنما هو تنظيم لأجسام سياسية تؤمن بفكر مشترك، ولها أهداف مشتركة، وهي الدولة الديمقراطية وتداول السلطة بشكل سلمي.

ويهدف الملتقى الوطني الثوري السوري لحماية أهداف الثورة والتصدي لمؤتمر سوتشي بحسب بيانه إلى حشد شعبي وإعلان تجمعات السوريين في سوريا وفي مخيمات اللجوء والمتواجدين في العالم لرفضهم مؤتمر سوتشي ومخرجاته.

كما يهدف إلى تعرية الشخصيات المشاركة في سوتشي بعدم تمثيلهم للشعب السوري ولا مؤسسات الثورة السورية، وتدارس إمكانية تشكيل جبهة ثورية وطنية ضد مؤتمر سوتشي، وأي مؤتمر لاحق يتجه لإعادة تأهيل وتعويم نظام الأسد أو للتنصل من القرارات الدولية أو لتشريع وجود قوى محتلة على الأراضي السورية، وإسقاط الشرعية الثورية عن الأفراد والمنظمات المشاركة به.

ويسعى الملتقى كذلك إلى دراسة أفضل السبل للحفاظ على استقلالية القرار السوري واستمرارية مسيرة الشعب السوري بالتغيير، وعلى ثوابت الثورة السورية التي تعبر عنها المطالب الأساسية للسوريين، بإنهاء حقبة الاستبداد المتمثلة بحكم نظام الأسد والانتقال لدولة القانون والمواطنة المتساوية، وتحقيق الديمقراطية والتعددية السياسية بعد التشويهات المتعمدة التي ألحقت بمسار الثورة.

ولضمان متابعة عمل ونتائج الملتقى فإن الملتقى سيعمل على دراسة تشكيل هيئة متابعة وتقييم لعمل مؤسسات الثورة والمعارضة السورية، لضمان عدم الانحراف عن مطالب الشعب السوري، وكذلك تنظيم عقد مؤتمر قوى الثورة السورية، يتبعه تنظيم مؤتمر حوار وطني سوري – سوري، بالتعاون مع الجهات السورية الملتزمة بهذا المسار، وتحت إشراف الأمم المتحدة.

وتتضمن هيئة المتابعة تشكيل لجنة علاقات خارجية، لإعلام المجتمع الدولي بأن كل من يشارك في مؤتمر سوتشي لا يمثل المعارضة والثورة السورية، بل يمثل نفسه فقط، وكذلك للتواصل مع مختلف الجهات المعنية والفاعلة في القضية السورية من أمم متحدة ودول كبرى وإقليمية، بهدف تحقيق مصالح الشعب السوري ومطالبه واعتبارها أولوية ضمن صراع المصالح الإقليمية والدولية في سوريا وأهمية استقرار سوريا للأمن الإقليمي والعالمي.

المنسق العام في الداخل للملتقى الوطني الثوري السوري والناشط السياسي ناصر الأعرج قال لزيتون: «الهدف الأساسي للملتقى هو الحفاظ على مسار الثورة، والثورة من أجل الحرية والديمقراطية، ويشكل مؤتمر جنيف الحد الأدنى لأهداف الثورة، وأي مؤتمر آخر هو خيانة لأنه لا يمثل أهداف الثورة ومتطلباتها».

وأضاف «الأعرج»: «في كل مرحلة يتم عقد مؤتمر يجمع الأجسام السياسية السورية بدءاً من اتحاد تنسيقيات السوريين حول العالم، وصولاً إلى معظم المؤسسات المدنية والسياسية، مروراً بأعضاء في كل من الحكومة السورية المؤقتة وحكومة الإنقاذ، إذ يجمع الملتقى كافة الفئات والنشطاء المدنيين والسياسيين تحت سقف الديمقراطية».

ظروف التشكيل

انطلق الملتقى من اتحاد تنسيقيات السوريين حول العالم وهيئة الحراك الثوري بالإضافة إلى الهيئات السياسية والأحزاب والتجمعات والاتحادات والنقابات ومنظمات المجتمع المدني وحتى مجالس المحافظات والمجالس المحلية باستثناء العسكرية منها، إذ لم يتم دعوة الفصائل العسكرية لأن الملتقى سياسي بحت، بحسب «الأعرج»، والذي أوضح أن المؤتمر الأول للملتقى تم بثه بشكل مباشر عبر برنامج «الفيوز»، وبالتزامن مع انعقاد مؤتمر سوتشي.

وعن أعضاء الملتقى يؤكد المنسق العام للملتقى الوطني الثوري السوري في الداخل بأن أعضاء الملتقى هم شخصيات وطنية لم تتلطخ أيديهم بدماء السوريين، ولا توجد عليهم أي إشارات استفهامات، عندما رأوا بأن مسارات الثورة بدأت تنحرف سياسياً عن مسار جنيف، عقدوا مؤتمرهم الأول في مقر البلدية الثالثة في العاصمة الفرنسية باريس، وانضم لهم عدة ملتقيات من كافة أنحاء العالم، ومن الداخل السوري في درعا وحماة وإدلب واللاذقية بالإضافة إلى الغوطة الشرقية قبل اغتصابها.

من جانبه العضو المؤسس للجنة التحضيرية للملتقى والمنسق العام لهيئة الحراك الثوري "يسار باريش" قال لزيتون: "تم اختيار اسم ملتقى للدلالة على عدم وجود نية لإنتاج أجسام سياسية أو تنظيمية جديدة، وانتشار الملتقى في عدة مدن سورية ودولية لتوجيه رسالة للعالم أجمع بأن السوريين قادرين على التمحور حول فكرة سياسية واحدة وترجمتها فعلياً على أرض الواقع".

وأضاف «باريش»: "هذا العمل هو نواة لتحقيق حالة تراكمية لإيجاد جبهة مقاومة سياسية تفسح المجال لتشكيل مقاومة شعبية ثورية تواجه الاحتلالات المركبة وتكون ملتزمة بقرار سياسي".

ويرى باريش أن الظرف غير ناضج لوجود أجسام جديدة، والسلوك الصحيح حالياً هو السعي لإنجاز مؤتمر عام لقوى الثورة ينتج قيادة ثورية حقيقية، مؤكداً أن الأجسام التمثيلية الموجودة حالياً هي أجسام هزيلة، لكن الوقت غير مناسب لأجسام جديدة.

تحديات العمل السياسي

في حين يعتبر المنسق العام للملتقى في الداخل أن لا صعوبات حقيقية تُذكر لدى الملتقى، وإنما هناك بعض الإشكاليات سببها التخوف من التوقيع على أي اتفاق، ولا سيما من قبل التجمعات السياسية الصغيرة التي لا تمتلك تمثيل قوي، مبيناً أن هناك لجنة متابعة انبثقت عن الملتقى مهمتها ضم الأجسام السياسية إلى الملتقى ومشاركتها بمجرد توفر شرط الإيمان بالديمقراطية لديها، والتنسيق والمتابعة معها دون وجود أي دور قيادي لها، مؤكداً أن الجميع متساوون في الحوارات والنقاشات ضمن الملتقى الوطني الثوري السوري، وأن الهدف هو توحيد الجهود لتحقيق الأهداف والثوابت الأساسية للثورة.

أما عن أسباب تراجع العمل السياسي في الداخل بشكل عام إن لم يكن انعدامه، فيعود من وجهة نظر الأعرج إلى ارتفاع صوت السلاح الذي طغى في الحرب على صوت السياسة، ولم يعد هناك مجال للعمل الجماهيري لعدم وجود البيئة المناسبة، بالإضافة إلى وجود الفصائل المسلحة الممولة خارجياً لأجندات خارجية، مضيفاً: «ولكن مع ذلك فشعبنا توّاق للعمل السياسي، وقد لوحظ نشاط نسائي وشبابي، وهناك الكثير من التجمعات النسائية والشبابية، كما أن معظم أهالي إدلب يؤمنون بالدولة المدنية الديمقراطية، وهو ما لا يريد العالم أن يراه، ويستمر في تجاهله».

وعن أهمية الشباب والمرأة في العمل السياسي يرى المنسق العام للملتقى الوطني الثوري السوري في الداخل بأن الأحزاب السياسية مقصرة جداً وعملها خجول في هذا المجال، وبأنه يجب الدفع نحو زيادة التمثيل النسائي في التجمعات السياسية، وعلى التجمعات السياسية أن تتيح الفرص المناسبة للشباب والمرأة لدفعهم باتجاه العمل السياسي والمدني بشكل عام، ولكن في الوقت ذاته هناك تجمعات نسائية موجودة وعليها مسؤولية أخذ حقها، على حد تعبيره.

ويعتمد الملتقى الوطني الثوري السوري على برنامج الفيوز كوسيلة تواصل بين أعضائه، ولبث نقاشاتهم وحواراتهم وأفكارهم ولقاءاتهم بشكل مباشر، مفسحاً المجال للمجموعات التي ترغب بالمشاركة وبث كلمتها، وذلك بعد التنسيق مع اللجان المختصة في الملتقى.

تخلي أمريكي عن درعا.. وإدلب تترقب

كان من المعلوم للجميع بأن المحطة القادمة بعد الغوطة الشرقية هي درعا، وما أن اطمأن جانب النظام وروسيا إلى نتيجة المعارك في الغوطة الشرقية، وقبل أن تستكمل عمليات التهجير، بادر الطرفان بتوجيه التحذيرات والتهديدات إلى أهالي درعا مدنيين وعسكريين، وبدأت تنتشر الكثير من الأنباء حول مصالحات في عدد من القرى والبلدات في محافظة درعا، والتي قام أهلها بدورهم بالرد على هذه الأنباء، ونفيها نفياً قاطعاً مع توضيح الشروط الروسية، والتأكيد على تحمل هذه المناطق تبعات رفضها.

خاص زيتون

تنسيق روسي دولي لبدء الحملة وغموض في الموقف الأمريكي

استمرت التهديدات الروسية والنظامية لأهالي درعا، وعلى الرغم من التوجه نحو القلمون وجنوب دمشق، إلا أن النظام بدل أن يسحب آلياته وعتاده إلى تلك المناطق، ولا سيما بوجود داعش في جنوب دمشق واندلاع معارك بينهما، باشر فور انتهائه من معارك الغوطة إلى زجّها في القطع العسكرية التابعة له في درعا.

خطوة اعتبرها البعض محاولة من النظام ومن أمامه روسيا للضغط النفسي على درعا، أملاً في الخضوع للمصالحات الروسية التي كانت تعمل عليها وترسل بشروطها لمدن وبلدات درعا، ودون اللجوء لمعارك على الأرض، أو على الأقل التخفيف منها، لا سيما أنها تزامنت مع تحذيرات من دول عدة في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية من شن معارك في الجنوب السوري.

واحتضن الأردن الغارق بمشاكله حالياً، في فترة قريبة اجتماعات عدة لوفود إسرائيلية وإيرانية وغيرها للحديث في الأزمة الإسرائيلية - الإيرانية وتداعيات تواجد ميليشياتها وميليشيات حزب الله اللبناني التابع لها على أراضي الجنوب السوري، وساهمت الاجتماعات في التوصل لاتفاق بين الطرفين يقضي بموافقة إسرائيل على استلام قوات النظام للحدود معها، شريطة عدم تواجد أو مشاركة ميليشيات إيران وحزب الله في أي معارك أو أعمال عسكرية هناك، وهو ما أعطى النظام الضوء الأخضر للبدء بالعمل، لا سيما بوجود التدخل الروسي كطرف لا كحليف أو منسق، إذ استقبل بوتين في الفترة ذاتها نتنياهو.

> وعقب الوساطة الروسية، وافقت تل أبيب على انتشار قوات النظام السوري على حدودها الشمالية، بشرط عدم تواجد الإيرانيين وحزب الله هناك، وفقاً لما نقلته القناة الثانية العبرية عن مصدر رفيع المستوى.

كما احتضن الأردن لقاءاً ثلاثياً جمعه مع كل من وفدي روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، ونقلت وكالة «سبوتنيك» الروسية آنذاك عن مصدر وصفته بالمطلع، أن الدول الثلاث تريد تسليم المنطقة إلى الشرطة العسكرية الروسية بوجود المعارضة المحلية في المنطقة، شريطة تسليم فصائل المعارضة كافة الأسلحة الثقيلة لديها، وبالمقابل عدم دخول المسلحين ولا إيران إلى المنطقة.

وبعد أيام من اندلاع المعارك في درعا، وسيطرة قوات النظام على بلدات عدة في الريف الشرقي للمحافظة، عادت الأردن لتجمع بين بعض قادة فصائل المعارضة مع وفد روسي، تم بنهايته الإعلان عن هدنة لمدة ٢٤ ساعة، وكما هي العادة لم يلتزم النظام بها على الإطلاق، وطالب الروس خلال الاجتماع بتسليم الأسلحة الثقيلة وتسوية أوضاع الجميع باستثناء جبهة النصرة وداعش، مع التأكيد على محاكمة الأشخاص المتورطين على حد تعبيرهم أصولاً، بالإضافة إلى تسليم المعابر لقوات النظام، مقابل نشر شرطة روسية ونقاط مراقبة روسية وعدم دخول قوات النظام وميليشياتها إلى المنطقة.

> وكانت أمريكا، الضامن لاتفاق خفض التصعيد في الجنوب السوري، قد هددت مراراً من أي عمل عسكري في الجنوب،

وحتى اليوم وبعد ما جرى من معارك وتغييرات على الأرض، ما يزال الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يهدد دمشق باتخاذ إجراءات صارمة ضدها، في حال أقدمت على انتهاك اتفاق خفض التصعيد في الجنوب السوري، في الوقت الذي ترسل فيه خارجيته برسالة إلى فصائل الجنوب تشير فيها إلى إطلاق يد الفصائل وإعفائهم من الالتزام باتفاق خفض التصعيد، مبينةً لهم في الوقت نفسه عدم مساندتها لهم.

من جانبه فسر رئيس هيئة التفاوض السورية وابن محافظة درعا نصر الحريري غياب الرد الأميركي على هجوم قوات النظام على المحافظة، في حين كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد ردت في أوقات سابقة على هجمات لقوات النظام على حلفائها في مناطق أخرى بوجود صفقة وصفها بـ «الخبيثة»، مؤكداً أن فصائل الجيش الحر هي من تسيطر على درعا، وأن الميليشيات الإيرانية وميليشيا حزب الله تشارك في معارك الجنوب الحالية إلى جانب قوات النظام، وأن هناك أسرى لدى فصائل الجنوب من عناصر حزب الله، وهو ما يناقض الاتفاقات السابقة التي جرت في العاصمة الأردنية عمان.

خطوات احترازية وعوامل في صالح فصائل الجنوب

قامت الفصائل المقاتلة في الجنوب السوري مع بدء الحشود لقوات الأسد وحلفائها بعدة خطوات من شأنها تعزيز صمودها، حيث قامت بتشكيل غرف عمليات مشتركة بينها في كل منطقة على حدى، وربطت جميع الغرف بغرفة عمليات مركزية، والتي بدورها أصدرت قراراً بتشكيل جهاز «قوات أمن الثورة» أوكلت إليه بعض المهام الجوهرية منها «الحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة، ومحاسبة من يستغل وضع المعارك وانشغال الفصائل «بجبهات القتال والتحرك بشكل سريع ضد المخربين وقطاع الطرق وتجار الأزمات والدماء، وملاحقة من يروج للمصالحات مع قوات النظام السوري أو يسلك السبل المؤدية إليها، ومكافحة من يروج للشائعات المسببة للفوضى بين صفوف المدنيين»، كما نوهت غرفة العمليات إلى أنها ستحاسب كل فصيل متخاذل أو محتكر للسلاح والذخائر، ومصادرة كامل سلاحه، ووضعه تحت تصرفها مع تحويل قياداته للمحاكمة العسكرية، بحسب نص القرار.

تمتاز طبيعة المجتمع الحوراني بالصبغة العشائرية ذات الروابط المتينة فيما بينها، كما أن معظم الفصائل المقاتلة فيها هم من الجيش الحر الذي يتبع للجبهة الجنوبية، والتي لم تصل في تجاربها السابقة للاقتتال فيما بينها، فعلى الرغم من الآثار السلبية التي خلفتها الولايات المتحدة في التخلي عن دعم الثوار وتركهم لمصيرهم، إلا أن هذا الأمر يجعل قرار تلك القوات مستقلاً بعيداً عن الضغوط والحسابات الدولية والإقليمية.

يضاف إلى ما سبق صعوبة ومرارة الخيارات البديلة في حال الاستسلام أو المصالحة مع قوات الأسد، وما يلحقها من تبعات من تجنيد للشباب في جيش الأسد لقتال الثوار في الشمال السوري أو التهجير إليه، كما أن قوات الأسد في حال تمكنت من السيطرة على الجنوب السوري فوجهتها القادمة هي الشمال، والذريعة وجود جبهة النصرة و «أخواتها»، المصنفة على قوائم الإرهاب، والتي تسيطر على مساحة واسعة منه، ناهيك عن الكثافة السكانية في الشمال بعد أن هجرت كل المدن والبلدات السابقة إليه.

أمريكا لفصائل الجنوب: لا تبنوا قراراتكم على افتراض قيامنا بتدخل عسكري

عندما كانت الغوطة الشرقية تخوض أشرس المعارك مع نظام الأسد وحلفاءه حاولت بعض الفصائل في «الجبهة الجنوبية» القيام بعمل لتخفيف الضغط على الثوار في الغوطة، هي مجرد محاولة لم تكتمل باستثناء بعض التحركات الخجولة إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية، الداعم الرسمي للجبهة الجنوبية كان لها رأي آخر، حيث بعثت برسالة حذرت فيها الثوار من القيام بأي عمل عسكري ضد نظام الأسد، جاء في الرسالة «إذا بادرتم في عمل عسكري ينتهك خفض التصعيد لن نستطيع أن ندافع عنكم، وإن بادر النظام بانتهاك الاتفاق سنفعل أقصى ما بوسعنا لوقف الانتهاك وضمان استمرار اتفاقية خفض التصعيد»، «وعليه إننا نحثّكم على ضبط الأعصاب، والتفكير مليًا في أهلكم من المدنيين، وعدم إعطاء الذرائع للنظام لقصفكم والقضاء على آخر معقل للمعارضة المعتدلة في سوريا».

وقبل أيام قليلة هددت الولايات المتحدة من خرق اتفاق خفض التصعيد في جنوب سوريا، وقالت وزارة الخارجية في بيان رسمي لها: «نؤكد مجدداً أن الولايات المتحدة ستتخذ إجراءاتٍ حازمةً وملائمةً ردّاً على انتهاكات الحكومة السورية في هذه المنطقة».

وطالبت الخارجية الأمريكية روسيا باستخدام نفوذها الدبلوماسي والعسكري لوَقْف الهجمات وإرغام النظام السوري على الامتناع عن شنّ حملات عسكرية أخرى، ولكن نظام الأسد استمر في حشد قواته وقام فعليا ببدء معركة في محاولة للسيطرة على المناطق التي تخضع لسلطة الثوار، وما إن بدأت المعارك فعليا حتى أرسلت الولايات المتحدة رسالة لفصائل الجنوب تتخلى فيها عن كل تعهداتها السابقة قالت فيها:

«إن الأمر يعود إلى قادة الثوار فقط في اتخاذ القرار السليم بشأن كيفية مواجهة الحملة العسكرية التي تشنها قوات الأسد بناء على ما يرون أنه الأفضل بالنسبة لهم ولشعبهم»، مضيفةً: «الحكومة الأمريكية تريد توضيح ضرورة ألا تبنوا قراراتكم على افتراض أو توقع قيامنا بتدخل عسكري»، ويأتي هذا كله بعد أن أسهمت الولايات المتحدة في تجميد جبهات القتال في جنوب سوريا طوال الفترة الماضية بالتهديد تارة وبالوعود الكاذبة تارة أخرى.

من الطبيعي أن يكون لهذا الأمر تداعياته على الجنوب السوري وعلى المعارضة بشكل عام، حيث سارعت الأردن بالإعلان أنها لا تستطيع استقبال أي لاجئين إضافيين على أراضيها، داعيةً الأمم المتحدة إلى مساعدة النازحين ضمن الأراضي السورية، ومن المعلوم أن الأخيرة تغلق الحدود بشكل شبه تام منذ سيطرة المعارضة على معبر نصيب الواصل بين سوريا والأردن.

كما أن إطلاق الولايات المتحدة يد روسيا في الجنوب السوري ومشاركتها بشكل فعلي في المعركة بعد أحاديث سابقة عن عدم مشاركتها، ووقف الدعم العسكري واللوجستي للجبهة الجنوبية، كل هذه العوامل بالإضافة إلى الحرب النفسية، ومشروع المصالحات التي تقوم بها قوات الأسد وروسيا، وانتقال بعض الجهات والشخصيات للطرف الآخر، وتغيير اتجاه البندقية من الثورة إلى مواجهتها، أثر سلباً على الوضع الميداني والحالة النفسية للمقاتلين بشكل عام، مما يسهل على نظام الأسد مهمته في بسط سيطرته على الجنوب السوري، وهو ما حصل فعلاً مع بدء الحملة العسكرية، إذ خسرت المعارضة بعض المواقع والبلدات نتيجة القصف العنيف واتباع سياسة الأرض المحروقة، ومما ساعده أيضاً في المعارك عدم وجود جبهات أخرى، فقام بحشد كافة قواته التي يعتمد عليها وزجها في جبهة الجنوب السوري.

إضافة إلى وجود حقيقي لتنظيم داعش في حوض اليرموك في الريف الغربي لدرعا، وبعض مناطق اللجاة، الذي كان عائقا لشن معارك من قبل فصائل المعارضة ضد قوات النظام بشكل واضح ومتكرر لدى كل محاولة من الفصائل لعمل عسكري، كما دفعت بالحكومة الأردنية إلى الضغط على الفصائل المعارضة لشن معارك ضد التنظيم وإعطائها الأولوية على معارك النظام.

بالرغم من كل ما سبق لا يشك عاقل أن لدى ثوار درعا فرصة كبيرة لإعادة هيكلتها والتعامل مع المعطيات وتنظيم صفوفها بطريقة تتناسب مع حالة الحرب التي تخوضها في الوقت الراهن.

مخاوف الأهالي في إدلب مع انكشاف كذبة خفض التصعيد

لمعركة درعا خصوصية لدى للمراقبين في الشمال السوري، والذين كانوا يظنون أن إدلب ودرعا لهما وضع مختلف عن منطقتي خفض التصعيد (منطقة ريف دمشق ومنطقة ريف حمص الشمالي مع ريف حماة الجنوبي)، واللتين تم تسليمهم للنظام السوري والميليشيات المساندة له بموافقة دولية وبدعم جوي روسي.

واستند المراقبون في خصوصية إدلب ودرعا من موقعهما الجغرافي المتاخم لدول إقليمية لها دور في الساحة السورية كتركيا وإسرائيل ومن ورائها أمريكا، وذلك ما دفع بتوقعات الأهالي باستبعاد وقوع أي هجوم عليهما، رغم أكل الثور الأبيض أمامهم، في حين كانت المناطق التي سلمت للنظام بحكم المحاصرة والمعزولة، ما ساعد على سقوطها.

ولكن مع بدء الهجوم على درعا وهي المنطقة الثالثة من مناطق خفض التصعيد اختلطت الأوراق والتوقعات من جديد، ووجد أهالي الشمال أنفسهم بواقع جديد، يضعهم أمام سيناريوهات ثلاثة.

السيناريو الأول وهو احتمال تخلي الدول الضامنة والراعية لاتفاق خفض التصعيد ولا سيما تركيا، التي سبق وأن سلمت مناطق واسعة شرقي السكة مقابل عفرين، وهو ما كشف عن خطة النظام ومن خلفه الجانب الروسي في تفريق المناطق باتفاق خفض التصعيد واسقاط المناطق بالتتالي، وهو ما يضع ربما إدلب في الخطوة التالية بعد درعا.

الناشط «مصطفى السليم» قال لزيتون: «أكذوبة خفض التصعيد كانت لإيقاف الثوار عن القتال، وإعطاء فرصة للنظام والميليشيات لاستعادة المناطق على التوالي وباعتماد سياسة الأرض المحروقة من خلال التركيز على منطقة واحدة، يمارس عليها كل أنواع الإجرام، حتى تستسلم لخيار التهجير القسري، في حين تكون تنتظر مناطق الثورة الأخرى دورها».

أما السيناريو الثاني هو تمسك تركيا ببقاء إدلب خارج سيطرة النظام، بشكل مغاير عن مصير درعا، ورغم ثبات زيف هذه الفكرة سابقا نتيجة لما حدث من تجارب، فإن أصحاب هذا الرأي يعتمدون على مصالح الجانب التركي في الشمال، هذه المصالح المعدومة في الجنوب، ويبررون بناء عليها عدم تدخل الأتراك في معركة درعا، أما الشمال فهو مناطق للنفوذ التركي ولن يتخلى عنها.

الناشط «سمير الحاج سعيد» يرى أن تركيا لن تتخلى عن منطقة خفض التصعيد الشمالية، وهي تعمل على ترتيب أوراقها، لا سيما بعد أن نشرت ١٢ نقطة مراقبة فيها، وانتشر بمقابلها نقاط شيشانية روسية، باتفاقات واضحة بين الجانبين، إضافة إلى عدم اضطرارها للتنازل عن هذه المنطقة، معتبراً أن لا علاقة تربط مصير إدلب بمعركة درعا، وما كان للنظام وروسيا أن يبدءان معركتهما في الجنوب لولا الجبن الأمريكي واتفاقيات اسرائيل مع روسيا، وهو الأمر الغير متوفر لدى الجانب التركي، التي ترى في إدلب حصتها من الكعكة السورية.

في حين يذهب أصحاب السيناريو الأخير إلى التفاؤل في عجز النظام عن اجتياح درعا، وفشله فيها سيبعده عن إدلب، معتمدين في تفاؤلهم على طبيعة المنطقة الجغرافية في لجاة درعا، وطبيعة الفصائل وتبعيتها للجيش الحر صاحب القضية والمؤمن بالثورة، وموقف الدول الضبابي، وحساسية الموقف الإسرائيلي من التواجد الإيراني.

الدعوة لتشكيل غرفة عمليات مشتركة وردود الأفعال عليها

أعلنت كلاً من هيئة تحرير الشام وجيش العزة وتنظيم حراس الدين وجبهة أنصار الدين استعدادهم لتشكيل غرفة عمليات عسكرية مشتركة بينهم، وذلك بهدف تخفيف الضغط عن درعا من الحملة العسكرية التي يشنها النظام عليها.

وكانت هيئة تحرير الشام قد دعت في ٢٤ حزيران الحالي الفصائل للعمل ضمن غرفة عمليات مشتركة باسم «الجنوب يستنصرنا».

ودعا البيان لتشكيل غرفة عمليات مشتركة من كافة الفصائل والجماعات، لرص الصف ومؤازرة الجنوب، متجاوزين في ذلك كافة الخلافات البينية ومقدمين مصلحة الأمة العليا.

ونقلت مواقع التواصل الاجتماعي عن الرائد «جميل الصالح» قائد جيش العزة استعداده للانضمام لغرفة العمليات المشتركة حيث قال: «جاهزيتنا عالية وبانتظار بقية الفصائل الثورية لفتح معارك تقلب الطاولة على النظام المجرم وحلفائه وتخفف الضغط عن مجاهدينا وثوارنا وأهلنا الصامدين في درعا».

ودعا تنظيم حراس الدين الجناح المتشدد والمنشق عن هيئة تحرير الشام، في بيان له بحسب وصفه كلاً من «أبناء المسلمين عامة والمجاهدين خاصة والكوادر وأصحاب الأموال والمنابر الإعلامية للقيام بواجب نصرة درعا، ودفع العدو الصائل عليها بأسرع وقت وقبل فوات الأوان».

إلى ذلك أصدرت جبهة أنصار الدين بياناً مماثلاً في ٢٦ حزيران، بعنوان: «الجنوب السوري وجوب النصرة وحتمية تصحيح المسار».

آراء الأهالي

مواقع التواصل الاجتماعي تداولت بشكل ساخر وناقد الدعوة إلى تشكيل غرفة عمليات مشتركة، وشكك الكثير من الأهالي والنشطاء بها وبالغاية من ورائها، متهمين هيئة تحرير الشام بالتحضير لبغي جديد على إحدى الفصائل العسكرية، في ظل التعزيزات التي تحشدها الهيئة بمدينة تفتناز في الآونة الأخيرة، وفي محيط بلدة سرمين وقرية النيرب بحجة وجود خلايا لتنظيم داعش فيهما.

وسخر «أبو عارف حمدان» من الدعوة بقوله: «قلتلي تخفيف؟ إما أن تقوموا بعمل حقيقي أو دعوهم مرتاحين، إذا أطعمت فأشبع، وإذا ضربت فأوجع، إما توحد وعمل كبير يرفع الذل والانحطاط والهوان الذي وصلنا إليه، أو ابقوا في تصفيتكم لبعضكم البعض ودم الناس برقبتكم».

من جانبه أشاد شاكر مدحلة بجيش العزة لكنه شكك ببيانات وكالة إباء قائلاً: «جيش العزة على سلامته، بس سالفة بيانات إعلامية على الهيئة جاهزة وفلان جاهز بلاها يرضالي على وكالة إباء.

رئيس حركة نداء سورية سامي الخليل:

الناس تريد الأمن والإدارة والحرية

استدعى الفراغ السياسي الحاصل في سورية بعد قيام الثورة عدد من الحقوقيين والسياسيين لتشكيل حركة نداء سورية التي دخلت عامها الثالث وذلك بهدف إيجاد عمل وطني سياسي، يكون للحركة كوادر ودور في الداخل السوري وفي خارجه، مستفيدين من الخبرة والتجربة السابقة لعدد من أعضائها وعلى رأسهم رئيس الحركة «سامي الخليل» في نقابة محامين سورية ومعرفتهم بالمجتمع والجغرافية السورية.

رئيس حركة نداء سوريا سامي الخليل

وكان لتكليف «الخليل» من قبل الائتلاف السوري بالتفتيش على الحكومة السورية المؤقتة ضمن لجنة ضمت عدداً من الحقوقيين عام ٢٠١٥ دوراً كبيراً في أخذ القرار بتأسيس الحركة، فقد وجد «الخليل» أن هذه الحكومة لا تصلح لقيادة بلد أو ثورة، وأنها أقرب إلى جمعية إغاثية، ليس لديهم برامج أو قواعد، وبعيدون عن الهدف العام في بناء مؤسسات سورية حقيقية تمتاز بالوطنية لكي تكون بديلاً عن النظام، وهو ما دفعه للالتقاء مع بعض الشخصيات وتشكيلهم الحركة.

بعد عقد عدة لقاءات تم الاتفاق على أن تكون الحركة لكل السوريين وليس لمكون واحد، وأساسها الوطنية وليس الانتماء الطائفي أو الجغرافي، ويرى القائمون على الحركة أنها نجحت في تشكيل نواة للحركة ومكتب سياسي، مع بدء العمل على استقطاب الكوادر المعروفة بالوطنية وبالتزامها بالقواعد العامة للعمل السياسي والإداري، كما تم الاتفاق على ألا يكون للحركة أي ارتباط مع أي جهة دولية أو سياسية، فضلاً عن تأسيس مكتب في كل من حمص وحماة وحلب وإدلب وريف دمشق وأوروبا.

ونتيجة لتمسك الحركة بتمثيل الجغرافية السورية كاملة فيها فقد ضم المكتب السياسي أعضاء من مدن متنوعة كالسلمية والسقيلية والسويداء وجبلة وحلب وحماه، كما ضمت الحركة شخصيات قضائية كالمستشار القضائي خير الله غنوم وأعضاء من كافة الشرائح والكوادر والصيادلة والمهندسين والطلاب، وأطباء أعضاء في المكتب يعملون بمشافي الداخل كالطبيب عبد العزيز العبد، ونقيب أطباء إدلب الطبيب عبد الحميد دباك.

وللحركة نظام داخلي لم يتم إقراره حتى الأن بانتظار عقد مؤتمر الحركة الأول، الذي لم يحدد بعد، وذلك لإصرار الحركة على عقده في الداخل السوري حين تحسن الأوضاع.

وحول وجهة نظر الحركة في العمل السياسي وفاعليته في الداخل المحرر، وقراءتها للظروف الحالية ومستقبل سورية كان لجريدة زيتون هذا الحوار مع رئيس حركة نداء سورية سامي الخليل.

رائد رزوق

- للحركة تميز تنظيمي يبدو واضحاً في الموقع الإلكتروني وما يتضمنه من تقسيم واضح للهيكلية والمكاتب وأسماء الأعضاء فيها، ما السر وراء هذا التنظيم الناجح؟

اعتمدنا على العنصر القانوني والحقوقي مستفيدين من العدد الكبير من المحامين في الحركة، فمن بين أعضاء المكتب السياسي الثمانية هناك رؤساء فروع لنقابات المحامين ورئيس فرع دير الزور ورئيس فرع ريف دمشق سابقاً، وهو ما انعكس بوضوح في النظام الداخلي وتحديد الصلاحيات والحقوق والواجبات وتوزيع المهام.

كما تضم الحركة مجموعة من الحقوقيين ذوي الخبرة والاطلاع الكافي على العمل التنظيمي، وبالطبع القانون هو من ينظم العمل السياسي، والسياسة هي عمل متواصل للوصول إلى أهداف، ونحن ندرك أن التاريخ لن يرحمنا إذا لم نعمل ونكون على قدر المسؤولية.

- هل هناك خطوات قادمة قريبة للحركة طموحة أو برامج قيد البدء كعقد المؤتمر التأسيسي الاول؟

ما زلنا في طور التأسيس وإقرار النظام الداخلي الذي تمت كتابته من قبل مجموعة من المحامين الخبراء، وانتخاب المكتب السياسي للحركة وهم ١١ عضو، لا نريد التسرع بعقد مؤتمر دون أن تكون الظروف مناسبة، ويرتبط عقد مؤتمرنا بالهدوء في الداخل واستتباب الأمن، فلا يمكن عقد مؤتمر الآن في ظل الأوضاع الأمنية المتدهورة، أو حتى إقرار النظام الداخلي، أهم ما نفعله حالياً هو تحصين أنفسنا من التجيير لأحد الأطراف سواء إغاثية أو استخباراتية أو دولية، علاقتنا نبنيها مع الآخر على أساس الندية وليس على أساس التبعية.

نحن دائمي التواصل ضمن المكاتب عبر غرف الواتس أب، ولكل مكتب غرفة يتم فيها النقاش بين أعضائها وبين المكتب التنفيذي.

- ما هو دور الشباب والمرأة وتمثيلهم في حركة نداء سورية؟

تضم الحركة عدد كبير من طلاب الجامعات، ويظهر تركيزنا على عنصر الشباب في النسبة الكبيرة منهم من مجموع أعضائها والتي تصل إلى ٨٠٪ من الأعضاء، لأننا نعد لجيل آخر، ويجب مراعاة الزمن وحقه، وفي نهاية المطاف الشباب هم سيقودون العمل، نحن مهمتنا إيصال الخبرة لهم وترسيخ فكرة تداول السلطة وقبول الآخر، وخصوصا تداول المواقع القيادية، اليوم لا يمكن لبلد ما أن تأخذ حقها وحجمها الطبيعي إلا بمشاركة كافة الشرائح، ولا سيما الشباب والمرأة، ومن هنا كان تمثيل هاتين الشريحتين كبيرا في حركة نداء سورية، فلدينا ثلاث عضوات في المكتب السياسي من أصل ١١ عضواً، كما أنها حاضرة في معظم مكاتب الحركة بشكل فاعل.

- ما هو وضع الحركة حالياً؟

يدل عدد المتابعين لموقع حركة نداء سورية الإخباري، والبالغ ١٦ ألف متابع، على ثقة الأهالي بالحركة واهتمامهم بالمواضيع التي تقوم بطرحها، كما يدل على متابعة الحركة لكافة الأحداث في سورية وقراءتها لما يهم الأهالي.

كذلك كان للحركة بيانات واضحة ضد القصف الروسي، ومواقف تجاه قضية المعتقلين، كما رفضت الحركة الذهاب إلى مؤتمر جنيف بسبب وضوح موقف وفد النظام مسبقاً لديها، بالإضافة إلى تفوقهم في الخبرة بالعمل السياسي.

- كيف ترون أداء التجمعات السياسية في المناطق المحررة.

الجائع والخائف ليس له قرار، الجائع حتى يشبع والخائف حتى يأمن، لا تمتلك التجمعات السياسية في الداخل السوري الخبرات السياسية اللازمة للقيام بعمل سياسي ناجح، فضلاً عن انعدام الظروف الملائمة للعمل السياسي.

- تقولون أن لا عملاً سياسياً في الداخل السوري بسبب عدم توفر شروط العمل، لكن ألا تعتبر التجمعات السياسية في الداخل هي آخر الأصوات المدنية التي يجب التمسك بها؟

أقدر كل عمل مبذول في الداخل، وهم مشكورون على تلك الجهود التي يقدمونها، لكن النظام عدوه الحقيقي هي التجمعات والتنظيمات القادرة على العمل السياسي الصحيح، ولا سيما تلك التي تملك الكوادر الصحيحة، والنظام يخشى من السياسي والكاتب والأديب أكثر من السلاح، ولقد ثبت أن قوة النظام بضعف معارضته وليست بجيشه ولا بطائفته، قوة النظام بضعف المعارضة السياسية التي لم تكن على قدر المسؤولية التي تحلوها.

- ينتقد البعض حركة نداء سورية على أنها حركة نخبوية بعيدة عن المواطن العادي؟ هل هذا صحيح أم أنكم في هذه المرحلة بحاجة إلى كوادر علمية تتبعها مراحل أكثر انفتاحا؟

النخبة موجودة بالحركة، نحن لا نقبل انضمام من هم دون الشهادة الثانوية، إلا في بعض الاستثناءات لأوضاع اجتماعية، أحد شروط الانتساب لدينا أن يكون المنتسب حاصل على الثانوية العامة، لكننا نركز على ضم طلاب الجامعة والنخب التي يمكن أن تساعد في ترسيخ أهداف الحركة.

وبرأي فإن العمل السياسي بحاجة إلى جوانب اجتماعية وثقافية وإلى الحضور، فالوضع الاجتماعي للعضو مهم لكي يستقطب الناس ويؤثر فيهم، ولذلك فإننا لا نقبل قاتل ولا قاطع طريق ولا سارق ولا من

لم يأخذ موقفاً أخلاقياً واضحاً من عائلته وأسرته، فلا يكفي استيفاء شروط الانتساب للانضمام، وعلى المنتسب أن يثبت مواقفه الأخلاقية. فلا يمكن أن تضم شخصاً يسكت عن الخطأ.

كما يجب أن يكون للمنتسب ظهراً اجتماعيا و»عزوة»، لأنه في حال الحروب برأي «ابن خلدون» وحين تضعف الدولة فإن الأشخاص يرّتدون إلى القبيلة والعشيرة والأسرة والطائفة، وأنت بهذا الظرف الأمني عليك أن تضم أشخاص يكون لهم نفوذهم الاجتماعي، ولذلك فإننا لسنا نخبويين، ولكن هل من الخطأ أن يكون أعضاء المكتب السياسي من أصحاب الشهادات ومن جغرافية متنوعة ومثقفة ومضلعة بالعمل السياسي؟.

- ما هي الأخطاء التي ارتكبتها الثورة وأوصلتها لما هي عليه اليوم؟

هناك فرق بين أن تكون مع الثورة لأنك تراها حاجة وضرورة، أو أن تكون مع الثورة لتستفيد من الثورة، هناك من خرج بفعل العدوى التي حصلت في الدول العربية الأخرى، وهناك من خرج تضامناً مع أهل درعا، وهناك من خرج رفضا لما فعله النظام من سلبيات، لكن مع تقدم الزمن دخل إلى الثورة شرائح ليست من المؤمنين بالثورة ولا بأهدافها طمعا في الاسترزاق والمنفعة، وهو ما أقصى النشطاء والمخلصين لها.

والشعارات التي أساءت للثورة ومدنيتها وديمقراطيتها رفعها المال الخليجي، وذلك لتخويف شعوبهم من الثورة، التنظيمات الإسلامية اعتبرت نفسها أنها قابلة لكل مرحلة، ولكنها لم تكن مستعدة لدفع الثمن، في حين أن سنة التطور تحتاج إلى تغيير الرجال، فلكل مرحلة رجالها وفكرها، دائماً وأبداً التطور يبدأ بتحسين الأداء للمنظومة السياسية التي تعمل بها.

- كيف ترون الحل الأمثل للصراع في سورية وما هو السيناريو المحتمل برأيكم كحركة سياسية؟ وأين يكمن دور التجمعات السياسية في الحلول المحتملة؟

الصراع على سورية اليوم دولي محض، وكل الأجسام المناوئة للحرية والديمقراطية هي أجسام طارئة على الساحة السورية، لأنهم لا يملكون استراتيجية وليس لهم ناظم للغد، ومن لا يملك الغد لا يفيده الحاضر ولا الماضي، العالم تصارع علينا وبنا.

على السياسي اليوم أن يعرف ما يريده الناس، الناس تريد الأمن والصحة والإدارة والحرية تحت سقف الوطن، ثلاثية السياسة والإدارة والاقتصاد هي من تضع الدول تحت الشمس، سلطات الأمر الواقع في المناطق المحررة هم ظل النظام، ومتى مازال النظام سوف يتبخرون، ومتى صحت السلطة صح المجتمع.

القانون الدولي يقول عند تغير الظروف الدولية والإقليمية تسقط كل الاتفاقيات والمعاهدات القائمة، الوضع الدولي ما زال إلى الأن في وضع التجاذبات، يغذيه الإقليم وخاصة دول الخليج، نفطهم نقمة، يضخون الأموال في سبيل ألا يكون هناك صندوق انتخاب أو رئيس منتخب في سورية.

- ما رأيكم بالتجربة التركية بشكل عام وبالانتخابات الرئاسية الأخيرة بشكل خاص، كيف يمكن الاستفادة من هذه التجربة، وكيف ستنعكس على المنطقة؟

الانتخابات التركية تعتبر نقطة وضاءة ليس في تركيا فقط، بل في تاريخ الشرق، فقد أعطت صورة بأن الإنسان التركي يستطيع أن يقول للأخرين نحنا هنا، هذه التجربة التركية الرائعة في الأداء والشفافية والسرعة وفي العودة إلى العمل مباشرة في اليوم التالي، دليل لكل من يريد أن يتعلم.

نتمنى أن نستفيد منها كسوريين وقد استفدنا منها لتأطير أنفسنا في يوم قادم لا محالة، لنحاكي تجربة ديمقراطية تثير انتباه الناس، في عالم متغير تحكمه المصالح والقوة للأسف، لكن القادم يحمل الكثير، ونحنا في حركة نداء سورية نستغل هذا الوقت لنبارك للشعب التركي ولقيادته ولإدارته على ما قدمت وفعلت لتكون تركيا دولة بكل معنى الكلمة.

- ما قراءتك للأنباء التي تفيد بأن النظام ينوي إطلاق سراح المعتقلين تحت ضغط من الطرف الروسي؟

عدد المعتقلين الذين قتلوا في المعتقلات يوازي عدد الأحياء، النظام لن يفرج عن المعتقلين دون مقابل، والمجتمع الدولي في حالة مخجلة، الروسي عنيد ومجرم، والإيراني يسعى على فتات التاريخ، والثورة أضاعت الكثير من الفرص التي كان من الممكن أن تخولها فرصة التفاوض عليهم.

*سامي خليل: رئيس حركة نداء سورية وعضو نقابة محامين سورية لدورتين، ورئيس لجنة الحريات وحقوق الإنسان فيها، وعضو رابطة الحقوقيين الدوليين بلندن.

ليس للحقيقة وجه أبيض

حاد المزاج، عصبي، ضيق الأفق وأحمق، تثور ثائرته لأسباب تبدو بسيطة، لكنه يبالغ في تكريرها حتى لتصبح معضلة، لا يقنع بالسلوك الظاهر، بل همه ينصب على ما يكمن خلف هذا السلوك، فهو يرى أن التصرف المكرر نابع عن دافع داخلي أصيل، ويعتبر أن من قصر النظر تقييمه على أنه سلوك عابر.

تيسير محمد

مغامر مقامر، لا يحترم القواعد، يحب المجازفة حين تشتد الأمور، لا يطيق الحرص ولا النظام، وكأنه يحمل في داخله جينات الفوضى التي تنتكس به ليعود بدائيا متوحشاً كمفترس يفتك بنفسه وبمن حوله كي يخرج غضبه.

يحتقر القوة ويميل للضعفاء، ويؤمن بأن العدل يكمن بالانتصار لهم، ويرى أن المروءة هي أن تحد من طغيان التعسف رغم تعسفه ذاته، فأين تكون السلطة والغلبة تراه في الطرف الآخر، مصارعا ومتحديا لها ومتمردا عليها، ولربما من هنا خرج في مظاهرات السوريين حين كانت ضعيفة وهشة، ومن هنا عافها حين رآها تتحول إلى جموع غفيرة، بعد أن صار لها أظافر تحولت لمخالب، كما كرهها حين أيقن أنها أصبحت مطية للمتكسبين، وبحكم طبعه الملول، فقد كره الروتين المقيت في رتم وهتافات المظاهرات المسائية البليدة.

ذو أفق رحب، فالجمال لديه في الخيال، ذلك الفضاء الرحب الهادئ، حيث يمكن للأشياء أن تكون حيث يجب أن تكون، ولذلك فإنه يسعى بشكل جدي لكي يلغي اللغة، ويعتمد بكثرة في محيطه على الإيحاء الذي يعتبره كافيا للتفاهم وحتى الحوار، أعجبه الشعر لبلاغته، وسحرته الكناية الذكية المختصرة، كره السياسيين الذين يكثرون من الكلام ويكررونه بلا ملل.

تجاوز الخامسة والأربعين لكنه احتفظ بتصابيه ومراهقته، فلا هو حاز على حكمة المشيب ولا على خفة الشباب وزاد الطين بلة حرصه وتمسكه بالطفل الذي فيه، حتى بات مجموعة من المتناقضات، ومع ذلك فهو يفتخر بتصالحه مع نفسه وتقبله للنقد واحترامه للرأي الآخر، إضافة لحبه للفن وتخيله للوحات لم يرسمها بعد، لكنها بقيت تظهر في بحة صوته وغنائه حين يذكر زوربا.

سكنه الصمت ولاذ به، فهو لغة الملائكة وحديث الشجعان، ونبل الضحايا حين يعجز عن التعبير عنهم الكلام، حق المكان بالرهبة، وقيمة الأشياء التي تعلو فوق الزمان.

محدث يرى في القوالب الجاهزة والنصوص والقوانين احتقارا لفهم الناس وتسطيحا لعقولهم، فما المعنى بأن يكرر النص آلاف وملايين المرات، ومنذ صغره كان يجد في التقليد عبودية لا تستقيم مع اختلاف الناس وتنوعهم وقدرتهم على الإبداع.

لم ترقه الزراعة لجريان الوقت بها في حلقة لا تنتهي، مواسم مكررة، وعمل روتيني معتاد، بعكس ما جذبته التجارة التي رأى فيها فرصته في المغامرة والمقامرة والمفاجآت، كما رأى فيها الحرية التي يحب، فلا من محاسب ولا من رقيب ولا من مدير، وقد مارسها بحب وشغف.

له وجه شفوف لا يخفي ما خلفه، مكشوف في انفعالاته، وهو أمر يقلقه ويدفعه إلى الخلو لنفسه خشية الانفضاح، ويزداد قلقه حين يقسو على الآخرين مما يزيد في حدة طباعه وهمجيته، فتكبر كرة الثلج في داخله ويتآكله الندم، ثم ليخبو كشعلة نار وينطفئ كماء آسن في حومة ماء.

ورغم غبائه إلا أنه لا يحب التفاهة، إذ يرى فيها خيار الشخص ذاته، فيما الغباء هو قدر فرض على صاحبه، وهو ما يفرض على الإنسان بحسب رأيه العمل، العمل الذي يرقى بالإنسان إلى الوجود، فلا حياة سوى في البناء، وأن يعيش الإنسان حياته دون أن يملأها ببصماته فهو عين التفاهة، فما الجدوى من وجوده إن لم يزد على ما وجده من آثار من سبقوه.

وفي غمرة بحثه عن الخلاص الأكيد من قيود الآخرين، أيقن أن نجاته من حاجة المقترين هي فعله وعمله وبصمته التي يؤكدها بجهده.

متلصص بارع يزيد بتلصصه خبرته في تحليل النفس البشرية، ويقارن ما بين المخفي والمعلن، وما بين الأنا والهو، ويسخر من هشاشة الإنسان أمام الناس وتأثير الجمع على الفرد، ولذا فإنه من هنا يكفر بكل ما يمليه عليه القطيع، وينفرد عن السرب إراديا رغبة في الخروج لا رغبة في التمييز، ويفضل أن يكون شاة منفردة يأكلها الذئب، على أن يكون غزالا في قطيع آمن.

يجل الكرم لكنه يعتبر نفسه شحيح بخيل، لأن الكرم لديه يكمن بالخلق الدمث والهدوء والاتزان والتروي، بعكس صفاته المضطربة، التي لام نفسه عليها مرارا، محاولاً تهذيبها تكرارا لكن دون جدوى، حتى قنع بشخصه وقبله.

هو أنا، وربما كان كل واحد منا، وربما كنا كلنا، نملك نصفنا الملائكي والآخر المظلم، هو ثنائية البشر، وقدرتهم الخارقة على الاختيار، هو ما يختصر عبقرية الإنسان ووضاعته.

نحالو إدلب: استحالة نقل النحل وقلة المراعي أثرت على تربيته

لإدلب تاريخ طويل في تربية النحل، يعود لعشرات السنين، ساهم فيه طبيعة المحافظة التي يدل عليها لقبها الخضراء، وعلى مدى السنوات الماضية تمسك أهالي إدلب بتاريخهم، وبرغم الظروف والتراجع الذي نال من هذه المهنة، والصعوبات التي تقف في وجههم، إلا أن الأهالي ما يزالون يمارسونها ويعملون بها.

أسامة الشامي

تربية النحل قبيل وخلال الثورة

تمتاز محافظة إدلب بغناها بالأشجار والنباتات التي تتفتق عن أزهار تجعلها بيئة مثالية لتربية النحل، وبدورها تعطي أنواعاً متعددة من العسل بحسب الزهرة التي رعى عليها النحل، ما جعل المحافظة تتصدر محافظات سوريا في تربية النحل وإنتاج العسل، وذلك وفق إحصائية سابقة لوزارة الزراعة التابعة لحكومة النظام.

إلا أن تربية النحل في إدلب بدأت تتراجع بحسب مواقع مختصة، لتصل في عام ٢٠٠٩ إلى المرتبة الثالثة بين المحافظات، لتواصل هذه المهنة تراجعها عقب اندلاع الثورة السورية وعلى مدى سنواتها السبع الماضية، إذ قدرت دراسات أجرتها وزارة الزراعة الحرة في الحكومة المؤقتة عام ٢٠١٦ نسبة التراجع بأكثر من ٦٥٪.

وتتركز تربية النحل ضمن المحافظة بشكل أساسي في كل من «معرة النعمان، أريحا، الدانا، سهل الروج، جبل حارم، وبعض بلدات جبل الزاوية».

وعن أسباب تراجع هذه المهنة والصعوبات التي تواجهها قال النحّال «أحمد زعتور» لزيتون: «قلة المراعي واستحالة ترحيل النحل لأماكن ومراعي مناسبة له، كجبال اللاذقية، ومناطق الجزيرة حول حوض الفرات شرقاً، هذه المراعي والمناطق التي كانت تمتاز بالدفئ والغذاء وتساهم بعدم موت النحل بالبرد شتاء، افتقدناها في ظل الحرب، وكانت العقبة الأكبر التي تسببت بتراجع المهنة كثيراً».

> «المواد السامة الي تشبعت فيها الأرض من مخلفات القصف، كانت سبباً بموت أعداد كبيرة من النحل، إضافة لصعوبة التحرك حتى ضمن مناطق إدلب، حيث كنا نواجه صعوبات كبرى في ذلك، منها نقل النحل على ضوء البيل خوفاً من قصف الطيران، إذ تتم هذه العملية خلال ساعات الليل حصراً».

كما واجه مربو النحل في إدلب صعوبات أخرى تحدث لزيتون عن أبرزها النحال «خالد جيلو» بقوله: «عجزنا عن الحصول على سلالات جيدة في إنتاج العسل، وتسمّم النحل بفعل المبيدات الحشرية ذات الفعالية طويلة الأمد، التي ترش للخضار والنباتات، مثل «اللانيت» القاتل للنحل، بالإضافة إلى أن عدم وجود مرشدين مختصين بتربية النحل لتوجيه النحّالين إلى طرق التهجين الناجحة كان عاملاً مؤثراً في تراجع مهنة تربية النحل، فضلاً عن غلاء أسعار كافة مستلزمات التربية من خشب ومعدات وأدوية وغيرها».

وتتألف خلية النحل الواحدة من عدة «براويز»، وهي عبارة عن إطارات خشبية يقوم النحل بإنتاج العسل ضمن الأقراص الشمعية التي يتم بناؤها ضمن هذه البراويز.

ويبلغ سعر الإطار الواحد (البرواز) ١٢ دولاراً أمريكياً، أي أن ثمن خلية مكونة من ٥ براويز يساوي ٦٠ دولاراً، في حين يبلغ ثمن خلية الخشب الفارغة ٣٥ دولاراً ، ليصبح ثمن الخلية مع نحلها حوالي ٩٥ دولاراً أمريكياً، أي ما يقارب ٤٥ ألف ليرة سورية، بحسب النحال «جيلو»، والذي أوضح أن عملية تكاثر النحل تتم عبر عملية يطلق عليها مربو النحل اسم «الشلح»، حيث تطرد الخلية (تشلح) من طردين إلى ٣ طرود سنوياً، وذلك بحسب نوع النحل ورغبة النحّال، ويتحول كل طرد منها إلى خلية جديدة، عبر اهتمام ومتابعة النحالين.

وبدرجة أقل كان لارتفاع سعر مادة السكر التي يتطلب تحضير «القطر» الذي يشكل غذاء النحل خلال فصل الشتاء كميات لا بأس بها منه، وغلاء أسعار المحروقات أو عدم توفرها في بعض الأحيان، والذي أدى بدوره لارتفاع تكاليف نقل النحل في حال إمكانية نقله، مكاناً ضمن المشاكل التي واجهت مربي النحل، فضلاً عن انقطاع الكهرباء لفترات طويلة ومتكررة، والتي تعتمد عليها عملية فرز العسل واستخلاصه من الأقراص الشمعية.

من صفحة النحال خالد جيلو

أسعار العسل وطرق التأكد منه

من حيث السعر، ينقسم العسل إلى نوعين أساسيين هما: العسل الطبيعي الذي يقوم النحل بإنتاجه اعتماداً على رعيه على أزهار النباتات الطبيعية دون دخول مادة القطر فيه، وذلك على العكس من العسل المغذى الذي ينتجه النحل أثناء تغذيته بالسكر(القطر)، ما يفقده الكثير من خواصه الغذائية والطبية، ويغلب إنتاج هذا النوع في فترات الربيع الأولى، حيث يكون النحل قد تغذى خلال فصل الشتاء على مادة القطر (محلول السكر والماء المغلي).

ويتراوح سعر الكيلوغرام الواحد من العسل المغذى ما بين ٣٥٠٠ و ٤٠٠٠ آلاف ليرة سورية، في حين يتراوح سعر الكيلوغرام من العسل الطبيعي ما بين ٥ و ٧ آلاف ليرة سورية، بحسب النحال «زعتور».

ويمكن التأكد من سلامة العسل وعدم غشه عبر طرق عديدة، منها التحليل المخبري الذي يعد أدقها وأفضلها، إلا أن عملية الشراء السريعة ولا سيما من الباعة الجوالين، بالإضافة إلى ظروف الحرب، جعلت الكثير من الأهالي يفضلون طرق الاختبار اليدوية والبسيطة والمتاحة للجميع وفي أي وقت، وأبرزها اختبار الحرق أو اللهب، والذي يعتمد على تعريض قصاصة صغيرة من الورق عليها كمية بسيطة من العسل للنار، اشتعال القصاصة الورقية يكون دليلاً على عدم غش العسل، في حين يدل عدم الاشتعال على وجود رطوبة في العسل، وهو ما يشير إلى غش العسل.

كما يمكن خلط بضعة قطرات من الخل مع كوب ماء، ومن ثم إضافة ملعقة كبيرة من العسل، ظهور رغوة على سطح الخليط تنم عن وجود غش في العسل، أو الاكتفاء بوضع ملعقة عسل في كوب الماء، إذا بقيت كمية العسل متجانسة يكون دليلاً على صحته وعدم غشه، والعكس في حال تفكك جزيئاته وذوبانه بسرعة.

وجميع هذه الطرق باستثناء التحليل المخبري تحتمل نسبة من الخطأ وعدم الدقة، وذلك لما بات معروفاً لدى البعض وما قابله من وسائل لتجنب كشف الغش في العسل بسهولة.

وفي فصل الشتاء، وعند تعرض العسل لدرجات حرارة منخفضة، يسهل على المشتري التمييز بين العسل السليم والمغشوش، إذ يتجمد العسل ويصبح على شكل كتلة متجانسة من الحبيبات في حال كان سليماً، بينما تتفكك حبيبات السكر عن الماء في العسل المغشوش.

يتفاءل الكثير من نحالي إدلب بهذا العام متطلعين إلى جني محاصيل أوفر، وعودة المهنة إلى انتعاشها في ظل الهدوء النسبي الذي يمر على الشمال السوري.

أنواع النحل والعسل وأهميته

تتواجد العديد من أنواع النحل في محافظة إدلب، منها نحل «كرليوني، إيطالي، ألماني، بيكفاست، كارنيكا، لوكستيكا»، إلا أن هذه الأنواع نادرة التواجد، على الرغم من قدرتها على إنتاج كميات كبيرة من العسل.

بالمقابل يعتمد نحالو إدلب على تربية نوعين أساسيين من النحل، يجمعهما مسمى «النحل السوري»، وهما «السيافي» و «الغنامي»، ويمتاز النحل السوري بنوعيه بلونه الأصفر وصغر حجمه، وشدة شراسته ومقاومته «للدبابير»، وكثرة تطريده (تكاثره)، وملائمته للعيش في المناطق الجافة والحارة، ولكن من الصعب التمييز بين نوعي النحل السوري، كما أن النوعين يعتبران من النحل قليل الإنتاج للعسل، غير أن ملائمته للظروف الحالية، تجعله النوع الرائج والمعتمد، رغم قلة إنتاجه مقارنة بالأنواع الأجنبية الأخرى، والتي لا يضمن نحالو إدلب تأقلمها مع هذه الظروف.

ويعد العسل من أهم منتجات الطبيعة من صنف الأغذية، وهو الذي يعطي حشرة النحل هذه الأهمية الكبرى، فهو غذاء ذو فوائد طبية كبيرة للعديد من الأمراض، ذكرت في القرآن الكريم، وفي العصر الحديث أكدت العلوم الحديثة العديد من هذه المنافع، منها أمراض «الحساسية» و «الربو».

> وكما للنحل أنواع فللعسل أيضاً أنواع، لا تعتمد على نوع النحل بقدر ما تعتمد على نوع الزهرة التي رعى عليها النحل، والتي تعطي للعسل بعضاً من نكهتها الخاصة، ما يجعل كل نوع من أنواع العسل مميزاً بمذاقه إلى حدّ ما.

وتتيح الأنواع المختلفة من النباتات في إدلب إنتاج أنواع عديدة من العسل، مثل عسل الحبة السوداء، الذي يعد من أعلى أنواع العسل فائدة صحية وقيمة غذائية ومادية.

بالإضافة إلى أن قرب المحافظة من جبال محافظة اللاذقية كان في السابق يسمح بإنتاج ما يعرف بـ «عسل الجرد»، والذي يفوق سعره عسل الحبة السوداء، فضلاً عن توفر بعض أنواع النباتات العطرية والحمضيات، والتي يرعى عليها النحل، وتكون أسعار هذه الأنواع من العسل أدنى من النوعين السابقين.

> أما «الغذاء الملكي» فهو ليس صنفاً من أصناف العسل، وإنما غذاء مركب ينتجه النحل من غبار الطلع من كل أصناف الزهور، وثمنه مرتفع جدا حيث يباع بالغرامات وليس بالكيلوغرام كما هو الحال بالنسبة للعسل، وجل استخدامه لأغراض طبية، فله أهمية كبرى بذلك، ويدخل في تركيب أنواع عديدة من الأدوية.

ولكل نوع من أنواع العسل فوائد طبية خاصة، تشترك في بعضها وتتفوق في غيرها وتختص بأخرى، كما أن لسعات النحل بحد ذاتها تشكل علاجاً لبعض الأمراض كالروماتيزم وآلام الظهر والرقبة، فضلاً عن تنشيطها للدورة الدموية لدى الإنسان.

ولكن ضمن عدد محدود من اللسعات، إذ من الممكن أن تؤدي عشرات اللسعات في آن واحد إلى الموت عند بعض الأشخاص لا سيما ضعيفي المناعة، ومن المعروف أن النحلة تموت هي الأخرى عقب لسعها للإنسان.

توثيق الشهداء.. منح شهادات وفاة

عند منتصف كل ليلة، يهرع للبحث بين صفحات ألفها وألفته، يكون قد تابعها منذ استيقاظه، ليكوّن فكرةً عن حجم التعب والشدّ النفسي الذي ينتظره في ليلته تلك.

لم يتابع صفحاته اليومية وحدها، بل جال أنحاء سوريا ليستكشف الوضع، قصف عنيف، مجزرة، أم هدوء؟، شهداء أم جرحى ربما يصبحون غداً في عداد الشهداء.

أكثر ما يسعده هو رؤية عبارة "لم يسقط أي شهيد اليوم في المحافظة"، ويتمنى أن تكون كل الأيام خالية من الشهداء، ليس فقط في محافظة بعينها، وإنما في المحافظات السورية الأربع عشرة، وليس خوفاً من كثافة العمل، بل خوفا من الدماء التي سيتخيلها في ليلته.

ياسمين محمد

بالمقابل مفردة "مجزرة" هي أسوأ مفردة بالنسبة له، فهي تحمل في طياتها معان كثيرة، ربما لا يمكنه إنكار وقع العدد عليه، لكنه بالتأكيد آخر ما يفكر فيه كرقم أو عدد، فكل رقم يعني له أرقاماً مضاعفة من العائلات وذوي هؤلاء الشهداء.

وعلى الرغم من أن عمله هو توثيق شهداء سوريا، إلا أنه يتمنى أن يتوقف سقوط الشهداء فيها والاكتفاء بما سقط خلال السنوات الماضية.

أنت من تعلن وفاتهم رسمياً، عليك أن توفّق ما بين الأمانة الأخلاقية والموضوعية، هذه الملفات والبيانات التي تصدرها هي بمثابة وثيقة رسمية، تستند إليها المنظمات الدولية، وهي لا تعترف سوى بالأرقام، ولا تدرك العادات والتقاليد، ولا تعي أن الأبناء يتسابقون في تسمية أبنائهم على أسماء أجدادهم وجداتهم، ولهذا إن صادفتك اليوم بعض الأسماء المكررة التي لا تحمل اسم أب أو أم أو صفة طفل أو عمر يميزها عن بعضها، فيتوجب عليك أن تعود بالصفحات التي تخص منطقة الاستشهاد علّك تخرج بنتيجة تريح قلبك وترضي ضميرك، لأنك إن لم تجد فعليك إما أن تحذف تلك الأسماء المكررة، أو أن تميزها بلون أحمر علامةً على تكرارها.

إن قمت بعملية الحذف يؤنبك ضميرك، وتشعر بالخوف والألم، فربما تضيع بذلك حق شهيد وحق عائلته عليك، وتكون مسؤولاً أمامهم وأمام نفسك، وإن لم تفعل فسوف تقوم تلك المنظمات بما عجزت عنه، ما يجعلك في حالة انتباه شديد للأسماء، فتحفظ أسماء الشهداء أكثر من أسماء الأحياء، وكثيرا ما تبقى بعض الأسماء محفورة في ذاكرتك إلى ما شاء الله، كما تحفظ أسماء أصغر القرى والبلدات في أنحاء سوريا، وكأنك أصبحت تعمل في دائرة عقارية ولكنها ليست مقتصرة على منطقة أو محافظة كما في السابق، أو كأنك درست الجغرافيا دون أن تدرسها، يقول أحد العاملين في توثيق الشهداء.

وأنت توثّق أسماء الشهداء، تضع يدك على قلبك، فيما اليد الأخرى تتنقل ما بين الصفحات وبين الملف الخاص بك، وذلك خوفاً من أن يقع المحظور، وتصل فجأة لاسم صديق أو جار أو قريب لم تدري بعد باستشهاده، وإذا صادفك ذلك وقرأت اسماً يشابه اسماً تعرفه فإنك تهرع تبحث ما بين الصفحات علك تجد الإجابة، فإما أن تطمئن وتكمل عملك بتوتر بعد الرعب الذي عشته في الدقائق الماضية، أو أن تتأكد من شخصيته فتضيف ما تبقى من سطور ملف الوورد أو أعمدة جداول الإكسل التي كانت مبهمة قبل وقت قصير، أما الخيار الثالث فهو أن لا تصل إلى نتيجة وتعيش في حالة بحث واستقصاء للمعلومة وللذكريات في آن واحد، والمصيبة أن لا تجد وسيلة تواصل مع شخص مشترك بينك وبينه، لا سيما بعد ما فرقت الحرب السورية بين الأهل والأصدقاء وشتّتهم.

وفي حال كنت تمتلك فعلاً شهيداً من أقاربك أو معارفك، فبالرغم من معرفتك باستشهاده فإنك تتألم أكثر عندما تدون اسمه، وكأنك أنت من تعطيه شهادة الوفاة الآن حتى ولو مضى على استشهاده أياماً أو أشهر، وتشعر بأنه قد استشهد الآن في هذه اللحظة بالذات، وتطغى عليك رغبة بالبكاء وبرثائه، وتتردد أصابعك في الضغط على أحرف اسمه.

وحتى الأماكن لها مكان في نفسك وأنت توثق، فالأماكن المحببة أو المألوفة لديك، والتي تحمل لك ذكريات أيام خلت، لا يمكن لك أن تمرّ عليها مرور الكرام، دون أن تعود بك الذاكرة لتفاصيل عشتها هناك، ولأشخاص شاركوك تلك التفاصيل، ويقودك الفضول لمعرفة وضع المكان في الوقت الحالي، وأحوال هؤلاء الأشخاص إن كانوا ما يزالون على قيد الحياة.

في بعض الأيام يكون القصف محدوداً، ما يقلل من أعداد الشهداء ويخفف من الضغط النفسي عليك، ولكنه في أيام أخرى يكون مكثفاً جداً، وتكون الأعداد كبيرة، فتكون في أسوأ حالاتك.

أستانة.. بغض النظر عما تعنيه سياسيا لكنها نعيم للموثقين لما خفضته من أعداد الشهداء والقتلى في سوريا، وبالرغم مما يشوب اتفاقية أستانة وغيرها من الاتفاقيات والهدن والمصالحات، وبالرغم من عدم شمولها لكافة المناطق السورية، إلا أنه لا يمكن لأحد أن ينكر أنها خفّضت من حدة القتل ومن عدد الشهداء إلى النصف أو أكثر، وفي بداية كل اتفاقية يتوقف القتل تقريباً في المنطقة التي تشملها الاتفاقية، ليعود فيما بعد أو يتوقف كلياً.

في السنوات الخمس الأولى من عمر الثورة أو أكثر بقليل، كانت أعداد الشهداء تتجاوز الخمسة وعشرون ألف شهيد، بينما في عام ٢٠١٧ لم يتجاوز عددهم التسعة آلاف شهيد.

أياً كانت الأعداد فأنت تعيش يومياً في حالة شد عصبي حتى تنتهي من توثيق الشهداء، ليخفّف عنك إلى حدّ ما شعورك بأدائك لواجبك تجاه بلدك وتجاه شهدائه، والذين حتى لو لم تكن تعرفهم فكل واحد منهم هو عائلة وربما عائلات وليس مجرد رقم للتوثيق في ملف أو إحصائية.

هذا بعض مما دار في خلجات أحد موثقي الشهداء في سوريا، ولم ينته الموضوع بعد، وللقصة لديه بقية، ولكل شهيد عنده قضية.

سيران سوري

سحر الأحمد

دمشق
أبو أحمد: حضرت اللحمات والمنقل والفحم والسياخ ونظفت البلكون، أنت والأولاد جاهزين؟
أم أحمد: يلا يلا جاهزين، بس ما قلتلي وين رح يكون السيران هاد الأسبوع؟ بالغوطة أو بحيرة زرزر أو طريق المطار؟

باريس
حالة تأفف وتذمر من جميع أفراد الأسرة.
لك ابني من مبارح هلكنا أنا وأمك لقدرنا نجّمع مستلزمات الشوي، بهالبلاد كل غرض من مكان! لهلأ ما عرفت وين مسموح نشوي؟
وفي انتظار رد الشاب المرتبك والمغموس حتى آخر شعرة برأسه بشاشة الموبايل، والهياج الغير معلن من باقي أفراد الأسرة تقترب من الأب صوراً مبعثرة واضحة التفاصيل غير ضبابية، يتناولها صورة صورة ويبتعد بها.

أربع سنين انقضت على لجوئه مع زوجته وأولاده الثلاثة، إذ شاء القدر أن حصل أكبر أولاده على منحة دراسية بإحدى دول أوروبا، بينما حظيت الأم والأب في الوقت ذاته على موافقة اللجوء إلى فرنسا بعد نزوح في مناطق دمشق وضواحيها دام سنتين، أُعلن بعدها قطع حبل سرة العائلة باحتضان أمواج المتوسط لأيمن ووسيم هرباً من جحيم البلاد لتستعر العائلة بنار التشرد، كل في دولة.

يرجع الوالد سريعاً من شريط الذكريات يهزه صوت ابنه: بابا بابا عثرت على مكان من خلال النت بيبعد بالسيارة ١٥ كيلو متر مسموح فيه الشوي.

الجهة المقابلة للكرة الأرضية يتهالك أبو أحمد على الأريكة بعد سؤال أم أحمد العفوي والبسيط وتتبدل ملامحه ويبدو عليه الاختناق:
بحيرة زرزر احتُلّت، طريق المطار أصبح طريق الجحيم.

أما الغوطة نعم، أذكر بالأمس القريب أنه كان هنالك بساتين وارفة من أشجار الفاكهة تُعد من أخصب أراضي العالم، تزنر دمشقنا من الشرق والغرب والجنوب.

أبو أحمد يشد الكلام ليصل إلى لسانه مخاطباً زوجته التي أضحت منذ سنين قليلة بلا ملامح:
- أتفهم لمَ نالك الزهايمر المبكر، أعرف أنك لا تقبلي أن تريْ اللوحة مقلوبة، ولن تعترفي بأن أبواب جهنم فُتحت منذ سبع سنين..
قالها دون أن يقول.

باريس
الأب: يلا يلا يا جماعة خلينا نروح نشوي ونحتفل بلمتنا، من سبع سنين كل واحد فينا بدنية، شقا العمر حطيتو بشراء بناء مؤلف من أربع طوابق لكمل حياتي مع أمكم ببيت وأنتو جنبنا كل واحد مع مرته ببيت، حلم من أحلامي الكثيرة كل يوم جمعة نعمل سيران كلنا ونشوي.

أول مبارح اجا أيمن مع أولاده بدون مرته من هولندا وقال شو؟! بدها تروح مع رفقاتها تقضي العطلة، اليوم وصل محمود من السويد، ومبارح وسيم هو ومرته من ألمانيا.

يلا يا جماعة حاج تأخير، ما صدقنا إيمتا لقينا مكان مسموح الشوي فيه، كأنكم عم تستنوا حدا من الأحباب يروح معنا ليصير السيران أحلى وأحلى، بحب قلكم كل حدا صار بجهة ومستحيل أقدر أجمعهم، واليوم كلنا مع بعض إنجاز صار بطلوع الروح لنقضي العطلة سوا ونعمل سيران سوري.

الله يحرمه الجنة وشم هواها اللي فرقنا!

وصية حب.. قبيل الوداع

أحمد فرج

حين خرج من عمليته التي شقوا بها صدره وأخرجوا قلبه ليزيلوا ما علق به من قهر السجن والحياة، جلس على مقعده في الحديقة تحت إحدى الشجيرات هزيلا كقشة محروقة، زائغ النظرات مرتجف الأوصال، كما لو أنه ينظر إلى العدم.

فاجأه سؤال كدفق ماء بارد أعاده من حياة أخرى، «بعد كل هذا العمر ما الشيء الذي يستأهل أن تعيش من أجله؟».

بابتسامة ساخرة ليس من السؤال ولا من السائل إنما من الحياة نفسها أجاب: «الحب»، قالها بهذا اللفظ الجاف والمطلق كمن يطلب الماء أو الهواء.
لم أتخيل أن من يقارب على السبعين يمكن أن يولي اهتماما للمشاعر فكيف بالحب كمطلق.

وفي استيضاحي عما يعنيه من هذه المفردة الواسعة والمطاطة قال بأنه يعني الحب في كل شيء، ولكل شيء، للإنسان وللطبيعة والحياة بكل ما فيها، للرحمة والحنان والرأفة والتسامح والسلام.

في الطريق وبعد عدة أيام كان يحدق في كل شيء كمن يتشرب وجه عزيز، ومن المؤكد أنه كان يجري المقارنات ما بين مدن غارقة في الجمال وبين بلدته التي تركها ركاماً، مرعوباً من مفاجآت سمائها وظلام دهاليزها، تساءل بصوت داخلي لم أسمع سوى صداه «ما الذي يمنع أن يعيش الناس في سلام؟».

أرجعتني كلماته إلى ما ينسب للكاتب «ماركيز» في وصيته ذائعة الصيت حين اعتزل الناس بسبب مرضه، رآها الكثيرون بأنها خلاصة حكمة الكاتب الشهير، وآخر كلماته التي جاء فيها:
«لو وهبني الله حياة أطول لكان من المحتمل ألا أقول كل ما أفكر فيه، لكنني بالتأكيد كنت سأفكر في كل ما أقوله، كنت سأقيّم الأشياء ليس لقيمتها بل لما تعنيه، سأنام قليلاً وأحلم كثيراً، مدركاً أن كل لحظة نوم خسارة لـ ٦٠ ثانية من النور. وسأسير فيما يتوقف الآخرون، وسأصحو فيما الكلّ نيام.

لو شاء ربي أن يهبني حفنة حياة أخرى سأرتدي ملابس بسيطة وأستلقي على وجه الأرض عارياً ليس من جسدي وحسب بل من روحي أيضاً، وسأبرهن للناس كم يخطئون لو اعتقدوا أنهم لن يكونوا عشاقاً متى شاخوا، فهم لا يدرون أنهم يشيخون إذا توقفوا عن العشق.
يا إلهي ... إذا كان مقدراً لي أن أعيش وقتاً أطول، لما تركت يوماً واحد يمر دون أن أقول للناس أنني أحبهم، أحبهم جميعاً، لما تركت رجلاً واحداً أو امرأة إلا وأقنعته أنه المفضل عندي، كنت عشت عاشقاً للحب.

كنت سأمنح الطفل الصغير أجنحة وأتركه يتعلم وحده الطيران كنت سأجعل المسنين يدركون أن تقدم العمر ليس هو الذي يجعلنا نموت بل: الموت الحقيقي هو النسيان.

في خندق هؤلاء الذين فهموا الحياة بمعناها العميق والبعيد، يقف الكثر منهم لا يبالون الشهرة، ولا يلتفتون لقشرة الحياة، دأبهم الخير والعطاء والبناء، بعضهم يحاذر السخرية، فيما يقدم آخرون غير هيابين من مطبات قد يضعها أناس على الطرف الآخر من الحياة، فيما يعمل جلهم بصمت النبلاء.

في رسالته التي طلب منه أن يوجهها لطلابه يقول أحد المعلمين: "اسمحوا لأنفسكم أن تحبوا، وقدموا دون انتظار الرد، افعلوا ما شئتم من أجل أنفسكم لا من أجل المردود، أعطوا بلا مقابل، حتى تكسبوا أنفسكم ولا تضيعوا العطاء بالأنا، لا تُعمّموا وانظروا لكل إنسان على أساس إنسانيته وشخصيته وفرده".

على الضفة الأخرى يقف الأغبياء بمعاولهم يهدمون ما تقدمه الحياة من عطاء، يفاضلون ما بين الروح والمادة، فلا هم يملكون الروح ولا هم يمتلكون المادة، يقضون أيامهم تكلفاً، فلا هم يكنزون المال ولا هم يحظون بالحب.

يروي الكهل عن عشقه للحياة وهو يضع يده على صدره المفتوح: في يوم ما كنت ممثلا على خشبة المسرح، لم أكن لأرى الجمهور لشدة شغفي بالتمثيل، كنا فرقة صغيرة في بلدة صغيرة، لم تشغلنا الحياة عن الفن والجمال، نتذوق الكلمة ونثمن الشغف، كنا عشاقا بسطاء.

كانت أشجار حقولنا لوحة، منازلنا جنة، شوارع قريتنا نزهة، لقاءاتنا أعياد، كل ما نراه أو نعيشه يعنينا، للتفاصيل الصغيرة قيمة، شربة الماء من نبعة الضيعة زلال وزمزم، جلسة العشب وقطاف الزيتون وأعراسنا التي لا تنتهي.
يولي الكهل بعد معتقله القصير وجراحته الفارقة اهتماما كبيرا للأحفاد، يقول إن أكثر ما يغريه الآن هو رؤية تلك المخلوقات الصغيرة، المليئة بالحب والبراءة، وحين يتحدث معهم عبر الهاتف يعلو صوته فرحا كطفل، لا يأبه لمن حوله، ويخترق المسافة البعيدة بمخيلته ليكون معهم، يردد مفردات المناغاة والدلال، يعدهم بالمجيء وبالفرح.

ولا يشكك الرجل بعد هذا العمر في أن السعادة تكمن في تقديم الحب والخير للناس، لا في امتلاك أسباب النعيم، بل يرى أن النعيم يكمن في تلك المودة الغامرة التي يمكن للإنسان أن يعيشها في الحب.

«جربت كل شيء ومللته، لكنني لم أكتف من الحياة» ففي الحقول بيادر، وعلى أبواب البيوت نساء وأطفال، وبين شقوق الحجارة ورود وحشائش، على الجبال ينابيع لم تكتشف، وثمة شروق جديد، وعشاق لم يلتقوا بعد.

يختم ماركيز وصيته بقوله: «الغد ليس مؤكداً لا للشاب ولا للكهل، ربما هذا آخر يوم نرى فيه من نحب. فلنتصرّف لئلا نندم لأننا لم نبذل الجهد الكافي لنبتسم، لنحنّ، لنطبع قبلة، أو لأننا مشغولون عن قول كلمة فيها أمل. احفظوا قربكم ممن يحبكم وتحبّون، قولوا لهم همساً إنكم في حاجة إليهم، أحبوهم واهتموا بهم، وخذوا الوقت الكافي كي تقولوا: نفهمكم، سامحونا، من فضلكم، شكراً، وكل كلمات الحب التي تعرفونها. لن يتذكر أحد أفكاركم المضمرة، فاطلبوا من الربّ القوة والحكمة للتعبير عنها، وبرهنوا لأصدقائكم وأحبائكم محبتكم لهم».

SNP زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع